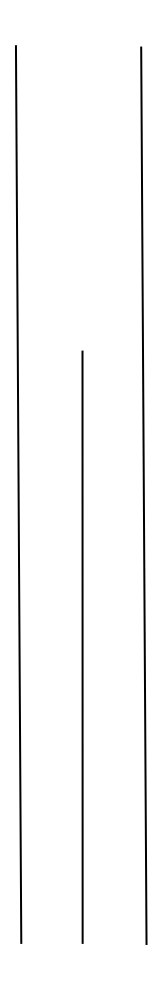


عبد القادر الجيلاني

تأليف :

د. علي محمد محمد الصلابي



العالم الكبير

والمربي الشهير

الشيخ

عبد القادر الجيلاني

العالم الكبير

والمربي الشهير

الشيخ عبد القادر الجيلاني

الدكتور

علي محمد محمد الصلابي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله ونصرته، أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عز وجل، بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم. قال تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

[الكهف: 110]

تنويه

هذا الكتاب جزء من كتاب «عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود (الشهيد) في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي».

رأيت نشره منفرداً حتى تعم به الفائدة.

علي محمد محمد الصَّلاَّبِيَ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70-71]

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، فلله تعالى الحمد كما ينبغي لجلاله، وله الثناء كما يليق بكماله، وله المجد كما تستدعيه عظمته وكبرياؤه. أما بعد:

فقد لاحظت في دراستي لفترة الحروب الصليبية أن انتصارات نور الدين وصلاح الدين ساهمت فيها عوامل متعددة ؛ منها على مستوى الخلافة نفسها، ومنها على المستوى الشعبي ومنها على مستوى الوزارة، فقد أخذت مؤسسة الخلافة تسترجع صلاحياتها وتقوى على ما كانت عليه في العهد السلجوقي الأول، وكذلك الوزارة العباسية في عهد يحيى بن هبيرة الوزير الصالح والعالم الرباني، وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني من زعماء الدعوة الشعبية والإصلاح العام في عاصمة الخلافة العباسية، فقد كانت عامّة الجماهير متعطشة إلى شخصية روحية رفيعة، تكون على تواصل بالشعب وطبقاته وجماهيره تؤثر في المجتمع بدعوتها ومواعظها وتزكيتها، وتوقظ في النفوس الإيمان وتحيي فقه القدوم على الله وتحرك في القلوب الحب لله والحنين إليه، وتحث على الطموح وعُلو الهمة وبذل الجهد في الحصول

على علم الله الصحيح وعبادته ونيل رضوانه والمسابقة إلى سبيله، وتدعو إلى التوحيد الكامل والدين الخالص.

ولقد تحققت هذه الأهداف في شخص الشيخ عبد القادر الجيلاني واستطاع أن يؤسس مدرسة أسهمت مع الزنكيين في تحمل المسؤولية ومواجهة التحديات العقائدية والفكرية والاقتصادية، والاجتماعية وأسهمت في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية. وقد استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود من سبقوه وتعاليمهم وخصوصاً الإمام الغزالي الذي قام بدور عظيم في تاريخ الإصلاح والتجديد وحوّل تلك التعاليم إلى مناهج مبسطة يفهمها العامّة وطلاب العلم والعلماء، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين روحياً واجتماعياً، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوفر لهذا المنهج فرص التطبيق العلمي في الرباط المعروف باسم الشيخ عبد القادر حيث كانت تجري التطبيقات التربوية والدروس والممارسات الصوفية ويقيم الطلبة والمريدون، فالتحليل الدقيق للنظام التربوي الذي طبقه الشيخ عبد القادر الجيلاني يكشف عن تأثير كبير بالمنهاج الذي اقترحه الغزالي[1].

وقد تحدثت في هذا الكتاب ـ الذي أسميته «العالم الكبير والمربي الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني» ـ عن اسمه ونسبه ورحلاته في طلب العلم وشيوخه، ثم تحدثت عن منهجه في توضيح العقيدة عن طريق عرضه للعقيدة بأسلوب بيان بليغ سهل العبارة، وحرصه على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعن تذكيره بأن عقيدته هي

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين نقلا عن الجهاد والتجديد ص339.

عقيدة السلف ورفضه لتأويل المتكلمين، وإمساكه عما لم يرد ذكره في كتاب الله وسنة رسولهﷺ وإعراضه عن علم الكلام.

كما بينت آراء الشيخ عبد القادر الجيلاني الاعتقادية حول الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة، وتوحيد الربوبية والألوهية، وشروط قبول العبادة، والدعاء والتوكل والخوف والرجاء، وما ينقض التوحيد، كما تحدثت عن عقيدته في الأسماء والصفات وعقيدته في القرآن الكريم ورؤية الله عز وجل، والقضاء والقدر وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والشفاعة والحوض والصراط والميزان.

وقد ذكرت موقف الشيخ عبد القادر الجيلاني من البدعة وأهمية الاعتصام بالكتاب والسنة وذم البدع والتحذير منها، وطاعة ولي الأمر. وقد فصلت الحديث حول مفهوم التصوف عند الشيخ عبد القادر الجيلاني من حيث تعريف التصوف عنده، والعوامل التي أدت إلى تصوفه وموقفه من العلم والعمل، ثم تحدثت عن آداب الشيخ والمريد عند الشيخ عبد القادر الجيلاني.

ثم ذكرت كيفية تأسيس الطريقة القادرية وأهم مميزاتها من حيث التأكيد على التمسك بالكتاب والسنة وخلو طريقته من الأفكار والفلسفات التي كانت سائدة في عصره، وتركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية، ووضعه لمجموعة من الآداب والتعاليم وتأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها.

وتحدثت عن الخطوط العريضة لدعوة الشيخ عبد القادر الجيلاني الإصلاحية واعتمادها على التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة من خلال الإعداد الروحي والديني والثقافي والاجتماعي، كما تحدثت عن الوعظ وموضوعاته وانتقاد الشيخ عبد القادر للعلماء والحكام وانتقاده للأخلاق الاجتماعية السلبية في عهده، ودعوته لإنصاف الفقراء والعامة

والتصدي للتطرف الشيعي الباطني وللتيارات الفكرية المنحرفة، وإصلاح التصوف عن طريق تنقيته مما طرأ عليه، والحملة على المتطرفين من الصوفية، ومحاولة التنسيق بين الفرق الصوفية وإيجاد التآلف بينها، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون بين مدارس الإصلاح والدولة الزنكية من خلال الإسهام في إعداد أبناء النازحين من المناطق الصليبية، والمشاركة في الجيش والجهاد العسكري والمشاركة في ميادين السياسة، ثم تحدثت أخيراً عن صفاته ووفاته.

وتعتبر تعاليم الشيخ عبد القادر ومدرسته ذات أثر ملموس أسهم في نهوض الأمة في عهد الزنكيين والأيوبيين وكان الشيخ عبد القادر على أصول منهج أهل السنة في الأصول والفروع وكانت له جهود مشكورة للتصدي للمذهب الشيعي الرافضي، وإعداد الأمة للجهاد ضد الصليبيين الغزاة، وقد أثنى ابن تيمية على الشيخ عبد القادر واعتبره من أئمة الصوفية والمشايخ المشهورين الذين كانوا على الصراط المستقيم وأنه: من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي وشهد له بأنه من الشيوخ الكبار[1]، ثم شهد له أنه من أعظم مشايخ زمانه في الأمر بالتمسك بالشريعة الغراء بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق، ومن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية[2].

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأربعاء الساعة الثانية عشرة، وثماني دقائق من يوم 20 شعبان 1427 هـ الموافق 2006/9/13م والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من

---

[1] فتاوى ابن تيمية (463/10).
[2] المصدر نفسه (488/10).

أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يصله هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19]

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:2]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته

ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاَّبِيَ

الإخوة الكرام يسرني أن تصل ملاحظاتكم وانطباعاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبي من خلال دور النشر، وأطلب من إخواني الدعاء بظهر الغيب بالإخلاص لله رب العالمين، والصواب للوصول للحقائق ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا.

تمهيد

الدعوة الشعبية والإصلاح العام

من الملاحظات المهمة في دراستي، لفترة الحروب الصليبية، أن انتصارات نور الدين، وصلاح الدين، ساهمت فيها عوامل متعددة؛ منها على مستوى الخلافة نفسها، ومنها على المستوى الشعبي، فقد أخذت مؤسسة الخلافة تسترجع صلاحياتها وتقوى على ما كانت عليه في العهد السلجوقي الأول، وكذلك مؤسسة الوزارة العباسية، خصوصاً في عهد يحيى بن هبيرة، وسيأتي الحديث عن ذلك في محله ـ بإذن الله تعالى ..

وفي هذا الكتاب سنوضح ـ بإذن الله تعالى ـ جهود عبد القادر الجيلاني، في الدعوة الشعبية والإصلاح العام، فقد كانت حركته الشعبية معاصرة لعماد الدين ونور الدين محمود، وتعتبر حركة عبد القادر الجيلاني من الروافد المهمة في حركة الجهاد والمقاومة، التي قادها نور الدين، وخصوصاً في القطاع الشعبي العريض، وفي عاصمة الخلافة العباسية بغداد، لقد كانت عامّة الجماهير في حاجة شديدة إلى شخصية روحية رفيعة، تكون على تواصل بالشعب، وطبقاته، وجماهيره، لكي يؤثر في المجتمع بدعوته ومواعظه وتزكيته[1] وتوقظ في النفوس الإيمان وتثير عقيدة الاخرة، وتحرك في القلوب الحب لله والحنين إليه، وتحث على الطموح، وعُلو الهمّة، وبذل الجهد في الحصول على علم الله الصحيح وعبادته، ونيل رضوانه، والمسابقة إلى سبيله، وتدعو إلى التوحيد الكامل، والدين الخالص[2]. ولقد وجد هذا المصلح الشعبي في شخص الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي ظهر في بغداد في اخر القرن الخامس، وتسلَّم الزعامة الدينية، وعاش نحو قرنٍ فرداً فريداً في الدعوة إلى الله، وأثَّر في

---

[1] رجال الدعوة والفكر (235/1).

[2] المصدر نفسه (237/1).

العالم الإسلامي تأثيراً كبيراً[1]، واستطاع أن يؤسس مدرسة ساهمت مع الزنكيين في تحمّل المسؤولية، ومواجهة التحديات العقائدية والفكرية، والاقتصادية والاجتماعية، وشاركت في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية[2]، فقد استفاد عبد القادر الجيلاني، من جهود من سبقوه، وتعاليمهم، وخصوصاً الإمام الغزالي، الذي قام بدور عظيم في تاريخ الإصلاح والتجديد . وقد فصَّلت ذلك في كتابي دولة السلاجقة والمشروع الإسلامي لمقاومة الغزو الصليبي . وكان الرجل المطلوب للدفاع عن الإسلام عند هجوم الفلسفة اليونانية، وإلحاد الباطنية، وانحراف العلماء[3]، وقد استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود وتراث الغزالي، وحوّل تلك التعاليم إلى مناهج مبسَّطة، يفهمها العامّة وطلاب العلم والعلماء، يقول الدكتور ماجد الكيلاني: (والواقع أن التحليل الدقيق للنظام التربوي، الذي طبقة عبد القادر الجيلاني، يكشف عن تأثر كبير بالمنهاج، الذي اقترحه الغزالي، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً، يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك توفر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي في الرباط المعروف، باسم الشيخ عبد القادر، حيث كانت تجري التطبيقات التربوية، والدروس، والممارسات الصوفية، ويقيم الطلبة المريدين)[4] وتعتبر شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ومدرسته وتعاليمه، ذات أثر ملموس في نهوض الأمة في عهد الزنكيين الأيوبيين، ولذلك سنسلط الأضواء على شخصيته ومدرسته وتعاليمه.

---

[1] المصدر نفسه (239/1).

[2] لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد ص 325.

[3] رجال الفكر والدعوة (235/1).

[4] هكذا ظهر جيل صلاح الدين، نقلا عن لا طريق غير الجهاد ص 339.

الفصل الأول : اسمه ونسبه ورحلاته في طلب العلم وشيوخه

1 . اسمه:

هو عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض، ويلقَّب أيضاً بالمجل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ[1]. وبعض الناس ينكر نسبته إلى علي بن أبي طالب[2]، ويبدو أن الصحيح صحة انتسابه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لضعف أدلة الطاعنين وندرتهم، وقوة أدلة المثبتين وكثرتهم[3].

2 . كنيته ولقبه:

تكاد تجمع كتب السير والتراجم على أن كنيته أبو محمد، ونسبته الجيلاني أو الجيلي[4] وأما الألقاب التي أطلقت عليه فهي كثيرة، توحي بدلالات متعددة، وهي تشبه في عصرنا الإجازات العلمية، والأوسمة، التي تمنح للعلماء والعظماء، إقراراً بفضلهم وبياناً لعلوِ منزلتهم، فمن الألقاب التي أُطلقت عليه لقب الإمام، أطلقه عليه السمعاني، فقال: إمام الحنابلة وشيخهم في عصره. نقله عنه ابن رجب[5]. ومنه لقب شيخ الإسلام أطلقه عليه الذهبي[6].

---

[1] سير أعلام النبلاء (439/20) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص 27.

[2] الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (290/1).

[3] الشيخ عبد القادر الجيلاني د. سعيد القحطاني ص 28.

[4] المصدر نفسه ص 28.

[5] الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص 28.

[6] سير أعلام النبلاء (439/20).

3 . ولادته:

ولد الشيخ عبد القادر في بلدة جيلان، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها إكيل وكيلان، والنسبة إليها جيلي وجيلاني وكيلاني، وذلك سنة إحدى وسبعين وأربعمئة للهجرة[1] وقيل: إنه ولد سنة سبعين وأربعمئة هجرية[2].

4 . طلبه للعلم ورحلاته:

رحل الشيخ عبد القادر الجيلاني من بلده ومسقط رأسه جيلان، إلى بغداد حيث دخلها سنة 488 هـ وعمره آنذاك ثماني عشرة سنة، والتقى في بغداد بمجموعة من مشاهير العلماء، الذين نهل من مناهلهم واستفاد من معارفهم، حتى أصبح عالماً في مختلف العلوم إذ يصفه الذهبي في ترجمته له بأنه: «الشيخ الإمام العالم، الزاهد، العارف، القدوة، وشيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحيي الدين»[3]، وكما يصفه ابن رجب في (ذيل طبقات الحنابلة) بأنه: «شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف»[4].

وقد أمضى في طلب العلم اثنين وثلاثين سنة، درس فيها مختلف علوم الشريعة، ثم جلس للتعليم والوعظ سنة 520هـ[5]. وكان خلال فترة طلبه للعلم، رغم طولها، يعاني من ضيق العيش، ويكابد مرارة الحرمان، إلا أن ذلك لم يفت في عزيمته ولم يعوقه عن المثابرة في طلب

---

[1] سير أعلام النبلاء (439/20).

[2] بهجة الأسرار للشطنوفي ص 88.

[3] سير أعلام النبلاء (439/20).

[4] ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (290/1).

[5] المصدر نفسه (291/1).

العلم[1]، وقد نقل ابن رجب ما يصوِّر لنا تلك المعاناة من كلام الشيخ نفسه حيث يقول: «وكنت أقتات الخرنوب[2] المشوّك، وقمامة البقل، وورق الخس، من جانب النهر والشط، وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد أن بقيت أياماً لم اكل طعاماً، بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها يوماً من شدة الجوع، لعلي أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك، فأتقوت به فما ذهبت إلى موضع إلاَّ وغيري قد سبقني إليه، وإن وجدت أجد الفقراء، يتزاحمون عليه فأتركه حياء، فرجعت أمشي وسط البلد لا أدرك منبوذاً إلا وقد سبقت إليه، حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين ببغداد، وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك، فدخلت إليه ووقعت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي، ومعه خبز صافٍ وشواء، وجلس يأكل، فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فمي من شدة الجوع، حتى أنكرت ذلك على نفسي فقلت: ما هذا؟ وقلت: ما ههنا إلاَّ الله، أو ما قضاه عليّ من الموت، إذ التفت إليّ العجمي فرآني فقال: بسم الله يا أخي، فأبيت فأقسم عليّ فبادرت نفسي، فخالفتها، فأقسم أيضاً فأجبته فأكلت متقاصراً، فأخذ يسألني ما شغلك ومن أين أنت وبمن تُعرف فقلت: أنا متفقه من جيلان، فقال: وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر، فقلت: أنا هو فاضطرب وتغير وجهه، وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي، فسألت عنك فلم يرشدني أحد، ونفدت نفقتي ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي، إلاّ مما كان لك معي وقد حلَّت لي الميتة، وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي، فقلت له: وما ذاك؟ فقال: أمك وجّهت لك معي ثمانية دنانير، فاشتريت منها هذا

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص32.

[2] الخرنوب : شجر بري ذو شوك، وذو حمل كالتفاح لكنه بشع.

للاضطرار، فأنا معتذر إليك فسكتُّه وطيبت نفسه، ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرف[1]».

5 . شيوخه:

ونتحدث عن بعضهم:

أ . أبو سعيد المبارك بن علي المخرمي:

شيخ الحنابلة، تفقه بالقاضي أبي يعلى، وبنى مدرسة باب الأزج درّس بها بعده تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني، بعد أن طوَّرها وأدخل عليها بعض التوسعة والتجديد، وكان نزيهاً عفيفاً، وقد فتحت عليه الدنيا، فبنى داراً وحماماً وبستاناً، مات سنة 513هـ.

ب . أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي:

الإمام العلاَّمة البحر، شيخ الحنابلة، المتكلم صاحب التصانيف ولد سنة 431هـ وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير[2]. وقد نقل عنه الذهبي قوله: (عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم، وما خلطت لعاباً قط، ولا عاشرت إلاَّ أمثالي من طلبة العلم، وأنا الان في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده، وأنا ابن العشرين، وبلغت الاثنتي عشرة سنة، وأنا اليوم لا أرى نقصاً في الخاطر والفكر والحفظ وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلا أن القوة ضعيفة)[3].

---

[1] الذيل عن طبقات الحنابلة لابن رجب (298/1).

[2] سير أعلام النبلاء (428/19).

[3] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص 38.

قال ابن الجوزي: كان ابن عقيل ديّناً حافظاً للحدود توفي له ابنان فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه، وكان كريماً ينفق ما يجد، وما خلَّف سوى كتبه، وثياب بدنه، توفي سنة 513هـ[1].

وينقل الذهبي عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي قول ابن عقيل: «حججت فالتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر، فإذا شيخ أعمى ينشده ويبذل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه فقال: خذ الدنانير فامتنعت، وخرجت إلى الشام وزرت القدس، وقصدت بغداد فأويت بحلب إلى مسجد، وأنا بردان جائع فقدَّموني فصليت بهم، فأطعموني وكان أول رمضان فقالوا: إمامنا توفي فصل بنا هذا الشهر ففعلت، فقالوا: لإمامنا بنت فتزوجت بها، وأقمت معها سنة وأولدتها ولداً ذكراً، فمرضت في نفاسها، فتأملتها يوماً فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر، فقلت لها: لهذا قصة، وحكيت لها، فبكت وقالت: أنت هو والله لقد كان أبي يبكي: ويقول: اللهم ارزق ابنتي مثل الذي رد العقد عليَّ، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت فأخذت العقد والميراث وعدت إلى بغداد[2]».

ج . حماد بن مسلم الدباس:

كان الشيخ عبد القادر من تلامذته[3]، وقد أثنى ابن تيمية على الجيلاني وشيخه حماد حيث قال: (فأمر الشيخ عبد القادر، وشيخه حماد الدباس، وغيرهما من المشايخ أهل

---

[1] سير أعلام النبلاء (446/19).

[2] المصدر نفسه (447/19).

[3] المصدر نفسه (449/19).

الاستقامة رضي الله عنهم: بأنه لا يريد السالك مراداً قط، وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق[1].

د . أبو محمد جعفر بن أحمد البغدادي السرَّاج:

الشيخ البارع، المحدّث المسنِد بقية المشايخ، كتب بخطه الكثير، وصنَّف الكتب، كان صدوقاً ألَّفَ في فنون شتَّى، وكان ممن يفتخر برؤيته ورواياته لديانته، ودرايته، ثقة مأمون عالم صالح ولد سنة 417هـ وتوفي سنة 500هـ[2].

هـ . أبو عبد الله يحي بن الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي:

كان الحافظ عبد الله بن عيسى الأندلسي، يثني عليه، ويمدحه، ويطريه، ويصفه بالعلم والفضل وحسن الأخلاق، وترك الفضول وعمارة المسجد وملازمته، ولد سنة 453هـ وتوفي سنة 531 هـ[3].

هؤلاء من أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم، وكان لهم الأثر الكبير في حياته[4].

6 . مكانته العلمية:

ويكفي في معرفة مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثناء شيخ الإسلام ابن تيمية عليه، فقد شهد ابن تيمية للشيخ عبد القادر بأنه من الشيوخ الكبار[5].

---

[1] فتاوى ابن تيمية (445/10).
[2] سير أعلام النبلاء (228/19).
[3] المصدر نفسه (6/20).
[4] الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص43.
[5] المصدر نفسه (488/10).

ثم شهد له بأنه من أعظم مشايخ زمانه في الأمر بالتمسك بالشريعة الغراء فيقول «والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم بالتزام الشرع والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، من أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية».

وقال القاضي أبو عبد الله المقدسي: قال: (سمعت شيخنا موفّق الدين ابن قدامة يقول: (دخلنا بغداد سنة 561هـ فإذا الشيخ الإمام محيي الدين عبد القادر، ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً وحالاً وإفتاء، وكان يكفي طالب العلم عن قصده غيره، من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم، والصبر على المشتغلين، وسعة الصدر، وكان ملء العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء)[1]. وكان يبذل أوقاتاً كثيرة في سبيل تعليم الناس، الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه على اختلاف مستوياتهم، يقول ابنه عبد الوهاب: «كان والدي ـ رحمه الله ـ يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات، بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء، وبالرباط بكرة الأحد، وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم، ومدة كلامه على الناس أربعون سنة أولها 521هـ واخرها 561هـ ومدّة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته 33 سنة أولها 528هـ واخرها 561هـ، وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمئة محبرة[2].

وأما ذكاؤه وفطنته وقدرته على حل المعضلات من الحوادث والمسائل، فيشهد لذلك ما ذكره ابنه عبد الرزاق بقوله: جاءت فتوى من العجم إلى بغداد، فلم يتضح لأحد منهم فيها جواب شافٍ وصورتها: ما تقول السادة العلماء، في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بدَّ

---

[1] الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (294/1).

[2] بهجة الأسرار للشطنوفي ص95.

له من أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس، في وقت تلبسه بها فيما يفعل من العبادات؟ قال: فأتي بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة، ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعاً ـ أي سبعاً ـ وحده، وتنحلّ يمينه قال: فما بات المستفتي ببغداد[1].

وعندما ترجم له ابن رجب في (الذيل على طبقات الحنابلة) قال: شيخ العصر، وقدوة العارفين، وسلطان المشايخ، وسيد أهل الطريقة، في وقته محيي الدين أبو محمد صاحب المقامات، والكرامات، والعلوم، والمعارف، والأحوال المشهورة[2] ويقول ابن الجوزي عنه: «تكلَّم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد، وكان له سمت وصمت، وكان يجلس عند سور بغداد، ومستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير[3].

---

[1] الذيل على طبقات الحنابلة (294/1).

[2] المصدر نفسه (290/1).

[3] المصدر نفسه (291/1) الشيخ عبد القادر ص69.

الفصل الثاني : منهجه في توضيح العقيدة

بيَّن ـ رحمه الله ـ عقيدته بوضوح، وكان كثيراً ما يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة: «اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة»[1] ومن خلال دراسة مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني، يلاحظ الباحث أن له منهجاً واضح المعالم في إيضاح القضايا، التي يعالجها خصوصاً قضايا العقيدة، ويمكن تلخيصه فيما يلي:

1 ـ عرضه للعقيدة بأسلوب بيان بليغ سهل العبارة:

تجنح حركة الإيقاع فيه إلى التوازي والتوازن، وهو توازن حركة النفس، والرغبة في الإيضاح، بعيداً عن التعقيد والغموض، ومثال ذلك تعريفه للإيمان[2]: «ونعتقد أن الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالجنان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، ويقوى بالعلم، ويضعف بالجهل، وبالتوفيق يقع[3].

2 ـ حرصه على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية:

في إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل، يدل على ذلك قوله: ولا نخرجُ عن الكتاب والسنة، نقرأ الآية والخبر، ونؤمن بما فيهما، ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل[4].

---

1 سير أعلام النبلاء (442/20) الشيخ عبد القادر ص62.

2 الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص70.

3 الغنية للجيلاني (62/1).

4 الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص72.

3 . يذكر الشيخ عبد القادر باستمرار أن عقيدته عقيدة السلف:

ويطلب من الله أن يميته على مذهب إمام أهل السنة والجماعة، مثال ذلك قوله: قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . رحمه الله . وأماتنا على مذهبه أصلاً وفرعاً وحشرنا في زمرته[1] ويقول: عليكم بالاتباع من غير ابتداع، عليكم بمذهب السلف الصالح، امشوا في الجادة المستقيمة[2].

4 . رفض تأويل المتكلمين:

وهذا واضح من كلامه . رحمه الله . حيث يقول في صفة الاستواء: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والمماسة، كما قالت المجسِّمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة، كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة، كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك[7].

5 . الإمساك عما لم يرد ذكره في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ :

من إثبات أو نفي[3]. وهذا واضح جلي في قوله . رحمه الله .: ونعوذ بالله من أن نقول فيه وفي صفاته، ما لم يخبرنا به هو، أو رسوله ﷺ [4].

---

1 الغنية للجيلاني (55/1).

2 الفتح الرباني، المجلس العاشر ص35.

3 الشيخ عبد القادر الجيلاني ص78.

4 الغنية للجيلاني (57/1).

6 . إعراضه عن علم الكلام:

من قواعد منهج الشيخ عبد القادر في إيضاح العقيدة إعراضه عن علم الكلام، وعدم اعتماده عليه، لأنه يرى أنه منشأ الضلالات، التي وقع فيها القوم ؛ ولذا نقل في كتابه (الغنية) قول الإمام أحمد رحمه الله: «لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلاَّ ما كان في كتاب الله عز وجل، أو حديث عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه رضي الله عنهم، وعن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود، فلا يقال في صفات الرب عز وجل كيف، ولم، ولا يقول ذلك إلا شاك[1]».

فهذه هي أهم الجوانب البارزة في منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني في إيضاح العقيدة[2].

---

[1] المصدر نفسه (56/1).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص82.

الفصل الثالث: من آراء الشيخ عبد القادر الجيلاني الاعتقادية

1 . الإيمان:

قال الشيخ عبد القادر: ونعتقد أن الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالجنان، وعمل بالأركان[1]. وقال في موضع اخر: الإيمان قول وعمل، فالقول دعوى، والعمل هو البينة، والقول صورة، والعمل روحها[2].

. زيادة الإيمان ونقصانه:

ونعتقد أن الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[3]، وقد استدلَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: 124] وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: 2] وقوله: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾[4] [المدثر: 31].

---

[1] الغنية للجيلاني (62/1).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص89.

[3] الغنية للجيلاني (62/1).

[4] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص92.

. الفرق بين الإيمان والإسلام:

قال الشيخ عبد القادر: وأما الإسلام فهو من جملة الإيمان، وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً. وقد استدل بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: 14] وبحديث مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان[1].

2 . حكم مرتكب الكبيرة:

نحى الشيخ عبد القادر منحى أهل السنة والجماعة، من أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة، وأنه فاسق بمعصيته، واقع تحت المشيئة في الدار الاخرة، إن شاء الله عذّبه، وإن شاء رحمه، وإنه لا يُكَفَّرُ بها إذا مات على التوحيد[2]، حيث يقول: ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان، فإنه لا يخلد فيها، بل يخرجه منها لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته، ثم يخرج برحمة الله تعالى ولا يخلد فيها[3].

ويقول في موضع اخر: ونعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة من الكبائر والصغائر، لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص، بل يرد علمه إلى الله عز وجل، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه وأدخله النار، فلا يدخل بين الله وبين خلقه ما لم يخبرنا الله بمصيره[4].

---

[1] البخاري رقم 50 البغي (62/1).

[2] الغنية للجيلاني (65/1) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص105.

[3] المصدر نفسه (65/1) المصدر نفسه ص 105.

[4] المصدر نفسه (65/1).

3 . توحيد الربوبية:

أشار الشيخ عبد القادر إلى أن معرفة الله فطرية، وأن النفس مقرَّة له بعبوديتها، وأن ذلك الإحساس نابع من داخل النفس البشرية[1].

قال رحمه الله: النفس بأجمعها تابعة لربها موافقة له، إذ هو خالقها ومنشِؤها، وهي مفتقرة له بالعبودية[2]. وأشار إلى النظر إلى الآيات الكونية المبثوثة في الأنفس والآفاق، والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد المعرفة الفطرية[3] فيقول: «أما معرفة الصانع ـ عز وجل ـ بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهي أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد، فرد صمد ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص : 2 – 4]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا ند ولا مشير[4]. والمسلم، وإن كان في فطرته معرفة الله عز وجل، لكنّه بالنظر والتفكير في مخلوقاته سبحانه يزيد إيمانه، ويقوى يقينه في خالقه عز وجل[5]. والشيخ عبد القادر ـ رحمه الله ـ يؤكد هذا المعنى في مكان آخر فيقول: استدل بصنعة الله عليه تفكّر في الصنعة، وقد وصلت إلى الصانع،

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص116.

[2] فتح الغيب للجيلاني المقالة العاشرة ص21.

[3] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص116.

[4] الغنية للجيلاني (54/1).

[5] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص116.

المؤمن الموقن العارف، له عينان ظاهرتان، وعينان باطنتان، فيرى بالعينين الظاهرتين ما خلق الله في الأرض، ويرى بالعينين الباطنتين ما خلق الله في السموات[1].

ويقول كذلك: أوّل ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه، ثم في جميع المخلوقات والمبدعات، فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها؛ لأن في ذلك دلالة على الصانع، وفي القدرة المحكمة اية على الحكيم[2].

4 . توحيد الألوهية:

تناول الشيخ عبد القادر الجيلاني لهذا النوع من التوحيد، فقد ذكر أن الواجب على من أراد الدخول في دين الإسلام: أن يتلفظ بكلمة التوحيد، وأن يتبرأ من كل دين غير الإسلام معتقداً بقلبه وحدانية الله[3]، فيقول: والذي يجب على من يريد الدخول في دين الإسلام أولاً أن يتلفظ بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى[4] وفي مكان اخر يتحدث عما دعا الله خلقه إليه من توحيده وطاعته، وما حذّرهم منه وخوّفهم، وزجرهم من الشرك به والوقوع في معصيته[5] فيقول: وقد دعا الله خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فحذَّر وأنذر، وخوّف وزجر، إعذاراً لهم وتأكيداً للحجة عليهم[6].

---

1 الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثالث ص16.
2 فتوح الغيب للجيلاني مقالة 74 ص113.
3 الشيخ عبد القادر الجيلاني ص128.
4 الغنية للجيلاني (2/1).
5 عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص129.
6 الغنية للجيلاني (146/1) عبد القادر الجيلاني ص 129.

وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ أن مجرد النطق بكلمة التوحيد من غير امتثال الأمر، وترك النهي غير مقبول، ولا يستفيد منه الإنسان فيقول: إذا قلت لا إله إلاَّ الله فقد ادعيت. فيقال لك: ألك بينة؟ والبينة امتثال الأمر، والانتهاء عن النهي، والصبر على الآفات، والتسليم إلى القدر، هذه بينة الدعوى»[1].

5 ـ شروط قبول العبادة:

وقد أقرّ الشيخ عبد القادر الجيلاني ضرورة توفر الإخلاص والمتابعة في العبادة، وبين أن مجرد النطق بالشهادتين، وأداء الأعمال التي تقتضيها لا يكفي، إلا بعد تحقق الشرطين[2]، يقول: إذا عملت هذه الأعمال ـ يعني الإتيان بالأوامر وترك النواهي ـ لا تقبل منك إلا بالإخلاص، فلا يقبل قول بلا عمل، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة[3].

ويقول في موضع آخر: «وجميع ما ذكرناه من صيام الأشهر والأضحية والعبادات، ومن الصلاة والأذكار وغير ذلك مما سنذكر ـ إن شاء الله ـ لا يقبل إلا بعد التوبة وطهارة القلب وإخلاص العمل لله تعالى، وترك الرياء والسمعة[4]». ثم يستشهد على وجوب الإخلاص بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 5] وقال سبحانه: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر: 3]. ثم ساق بعض أقوال أهل العلم في تعريف الإخلاص فنقل عن سعيد بن جبير قوله: « الإخلاص أن يخلص العبد دينه لله

---

[1] الفتح الرباني المجلس الثاني ص10.
[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص134.
[3] الفتح الرباني للجيلاني ص134.
[4] الغنية للجيلاني (66/2) الشيخ عبد القادر ص134.

وعمله لله تعالى، ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله أحداً» كما نقل عن الفضيل بن عياض قوله: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص هو الخوف من أن يعاقبك الله عليهما»[1]. وقد حذَّر كثيراً من الرياء والعجب، وذلك لخطورته على دين العبد، ولسهولة وقوع الإنسان فيه، فقال: ينبغي لكل متعبّد عارف أن يحذر في جميع أحواله من الرياء ورؤية الخلق والعُجب، فإن النفس خبيثة، وهي منشأ الأهواء المضلة والشهوات المردية واللذات الحائلة بين العبد وبين الحق عز وجل. ثم ساق الأدلة على تحريم الرياء منها قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: 4. 7]. وبوصفه عز وجل للمنافقين:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ١٤٢ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 142. 143]. كما استشهد من السنة بأحاديث صحيحة منها قوله: «يلقى الرجل في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدار به كما تدور الرحى بصاحبها فيقال له: أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه[2].

---

[1] الغنية للجيلاني (67/2) الشيخ عبد القادر ص135.
[2] مسلم رقم 2989 الغنية للجيلاني ص (68/2).

6 . من أنواع العبادة:

أ . الدعاء:

من أعظم أنواع العبودية: الدعاء والالتجاء لله تعالى، لأن معاني العبادة والخضوع والتذلل والفقر والاحتياج، تبدو واضحة جلية في الدعاء، والدعاء لا يكون إلا لله وحده، ولذلك توعَّد الله المستكبرين عن دعائه بالدخول في النار وبئس القرار[1] قال ﷻ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [2] وقد ذكر الشيخ القادر بعض الآداب التي يجب مراعاتها عند الدعاء فقال: والأدب في الدعاء أن يمد يديه، ويحمد الله، ويصلي على النبيﷺ ثم يسأل حاجته[3].

ب . التوكل:

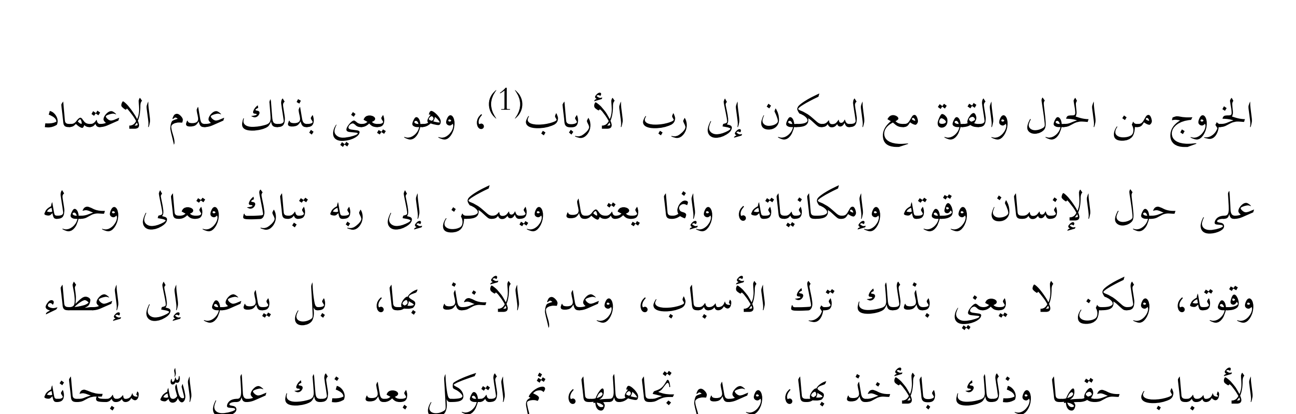
وهو أصل من أصول العبادة، وهو من سمات المؤمنين الصادقين قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2] وقد عرف الشيخ عبد القادر حقيقة التوكل بقوله: وحقيقة الإخلاص ارتفاع الهمة عن طلب الأعواض على الأعمال، وكذلك التوكل هو

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص138.

[2] المصدر نفسه ص138.

[3] الغنية للجيلاني (140/1).



الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب[1]، وهو يعني بذلك عدم الاعتماد على حول الإنسان وقوته وإمكانياته، وإنما يعتمد ويسكن إلى ربه تبارك وتعالى وحوله وقوته، ولكن لا يعني بذلك ترك الأسباب، وعدم الأخذ بها، بل يدعو إلى إعطاء الأسباب حقها وذلك بالأخذ بها، وعدم تجاهلها، ثم التوكل بعد ذلك على الله سبحانه حيث يقول: أعط السبب حقه، وتوكل واقعد على باب العمل[2].

وذلك أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله عز وجل، فإن الله عز وجل كما أمر بالاعتماد عليه والتوكل عليه وحده أمر بالأخذ بالأسباب مخبراً عن عيسى ابن مريم وهو يخاطب أمه: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: 25] إذ كان في قدرته سبحانه أن ينزل الرطب من غير أن تقوم مريم بهز الجذع[3]، وأيضا أخبر – عز وجل– أن يعقوب –عليه السلام– قال لبنيه: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67] فمع توكله على الله – عزوجل– أمر أولاده بالأخذ بالسبب، وهو التفرق عند الدخول، حتى لا يصابوا بالعين الحاسدة[4]، أو يلفتوا الانتباه عند دخول مصر، وعند حديث الترمذي من حديث أنس بن

---

[1] بهجة الأسرار للشطنوفي ص122.

[2] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخمسون ص167.

[3] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص141.

[4] المصدر نفسه ص141.

مالك أن رجلا قال للنبي ﷺ : يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال ﷺ: اعقلها وتوكل[1].

ج . الخوف والرجاء:

وهذان من أنواع العبادة التي أمر الله بها، وأثنى على المؤمن المتحلي بها، قال عز وجل في الخوف: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: 46] وقال في الرجاء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: 218]. وقد تحدث الشيخ عبد القادر عن الخوف والرجاء فقال: من غلب رجاؤه خوفه تزندق، ومن غلب خوفه رجاءه قنط، والسلامة في اعتدالهما[2]، وهذا الاعتدال يوافق ما قاله الإمام أحمد بن حنبل: وينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحداً[3] وأما حجم الخوف وقدره فيحدده ابن القيم بأنه: ما حل بين صاحبه، وبين محارم الله ـ عز وجل ـ فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، ويذكر أنه سمع ابن تيمية يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله[4]، وعن الرجاء يؤكد ابن القيم ـ أنَّ من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: الأول محبة ما يرجوه، والثاني خوفه من فواته، والثالث سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وإنَّ الرجاء الذي لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني،

---

[1] سنن الترمذي رقم 2519 وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم 1068.

[2] الفتح الرباني للجيلاني المجلس الخامس والعشرون ص91.

[3] مسائل الإمام أحمد لابن هاني تحقيق الشاويش (178/2).

[4] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص144 مدارج السالكين (511/1).

والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن[1].

د . ما ينقض التوحيد:

ولقد دعا الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى التوحيد، وحذَّر من الوقوع في الشرك في جملة وصاياه فقال: وحِّدوا ولا تشركوا[2] وقال في توجيه آخر: أخلصوا ولا تشركوا وحّدوا الحق . عز وجل . وعن بابه لا تبرحوا، سلوه ولا تسألوا غيره، واستعينوا به ولا تستعينوا بغيره، توكلوا عليه، ولا تتوكلوا على غيره[3].

7 . توحيد الأسماء والصفات:

وأشار الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى هذا التوحيد بقوله: انفوا ثم أثبتوا، انفوا عنه ما لا يليق به، وأثبتوا له ما يليق به، وهو ما رضيه لنفسه، ورضيه له رسوله ﷺ، إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم[4] وقال رحمه الله: ولا نخرج عن الكتاب والسنة، نقرأ الآية والخبر، ونؤمن بما فيهما، ونكل الكيفية إلى علم الله[5]. فاشتمل كلامه . رحمه الله . على الأسس الثلاثة التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وهي: – إثبات الأسماء والصفات.

---

[1] الجواب الكافي لابن القيم ص46.

[2] فتوح الغيب المقالة الثانية ص10.

[3] الفتح الرباني للجيلاني المجلس السابع والأربعون ص151.

[4] الفتح الرباني للجيلاني المجلس السابع والأربعون ص62.

[5] الغنية للجيلاني (57/1).

– تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه.

– الاعتراف بالعجز عن إدراك الكيفية[1].

أ ـ الصفات الذاتية:

وهي الصفات المتعلقة بذات الباري سبحانه ولا تتعلق بالمشيئة والاختيار، بل لا تنفك عن الرب ـ عز وجل ـ بحال من الأحوال، باعتبارها من لوازم الذات الإلهية، ومنها[2]:

اليدان:

من الصفات الثابتة لله عز وجل، وقد أشار الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى ثبوت هذه الصفة لله سبحانه فقال: له يدان وكلتا يديه يمين قال ﷻ : ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: 67]، وروى نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: قرأ رسول الله ﷺ على المنبر والسماوات مطوية بيمينه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة ثم يقول: أنا العزيز، فلقد رأيت رسول الله يتحرك على المنبر حتى يكاد يسقط[3].

صفة القَدَم:

من الصفات الذاتية، التي وردت بها الأدلة الصحيحة، صفة القدم لله ـ عز وجل ـ، والشيخ عبد القادر الجيلاني يثبت لله هذه الصفة فيقول: ويضع قدمه في جهنم فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط[4]، وهو بهذا يشير إلى الأحاديث الصحيحة التي جاء ذكر القدم

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص167.

[2] الشيخ عبد القادر ص180.

[3] البخاري رقم 7412 الشيخ عبد القادر ص180.

[4] الغنية للجيلاني (55/1).

فيها، منها عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه، فتقول قط قط وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض»[1].

وقد تلقى علماء أهل السنة والجماعة هذه الأحاديث الصحيحة بالقبول، وأمروها كما جاءت، ولم يخوضوا في الكيفية[2].

صفة الأصابع:

يثبت الشيخ عبد القادر الجيلاني الأصابع لله عز وجل، لورود الأدلة الصحيحة بشأنها فيقول: «وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء»[3]. وعلى هذا الإثبات درج علماء أهل السنة والجماعة كعادتهم في إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات، على ما يليق بجلال الله ـ عز وجل ـ من غير تكييف ولا تمثيل[4].

صفة العلو:

من صفات الكمال للذات الإلهية صفة العلو، وهي فرع من توحيد الأسماء والصفات، والله سبحانه متَّصف بالعلو المطلق، من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً[5]، والشيخ عبد القادر الجيلاني يثبت هذه الصفة فيقول: «وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتوٍ على الملك محيط علمه بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ

---

[1] البخاري رقم 7339 مسلم رقم 2846.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص183.

[3] الغنية للجيلاني (55/1).

[4] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص185.

[5] الشيخ عبد القادر للقحطاني ص187.

يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: 10] ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5][1]

ب . الصفات الفعلية:

وهي التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته سبحانه، بحيث إن شاء الرب . عز وجل . فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وكل صفة فعلية فهي صفة ذاتية من جهة قدرة الرب ﷻ على فعلها في أي وقت شاء، ومن هذه الصفات:

الاستواء:

أخذ الشيخ عبد القادر الجيلاني في مسألة الاستواء بالمعنى الذي أثبته النص القرآني، من غير تأويل ولا تعطيل، حيث قال: «وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وإنه استواء الذات على العرش، لا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق»[2] وقد استدل . رحمه الله . على ذلك بما روي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ . رضي الله عنها . في قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: 5] قالت: «الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول، والإقرار به واجب والجحود به كفر». وقد أسنده مسلم بن

---

[1] الغنية للجيلاني (54/1).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص194.

الحجاج عنها عن النبي ﷺ في صحيحه[1]، وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[2].

صفة النزول:

من الصفات الثابتة لله ـ عز وجل ـ صفة النزول، من غير تكييف، ولا تمثيل، بل على وجه يليق بجلال الله لا يعلمه إلا هو القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

والشيخ عبد القادر الجيلاني كعادته في إثبات الصفات، يثبت هذه الصفة، وينفي أن تكون نزول رحمته وثوابه[3]... فيقول: وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، وكما شاء فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى، ممن يختار من عباده ويشاء، تبارك وتعالى العلي الأعلى لا إله إلاّ هو له الأسماء الحُسنى لا بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ادعته المعتزلة، والأشعرية[4]. وقد استدل أهل السنة على ذلك بالأدلة الصريحة الصحيحة، والتي منها حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ (أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له[5].

---

1 الغنية للجيلاني (56/1).

2 هذا لم يرد في شيء من الكتب الستة ولا المسند وإنما ورد في كتب أخرى رواه اللالكائي رقم 663 موقوفا عليها.

3 الشيخ عبد القادر الجيلاني ص203.

4 الغنية للجيلاني (57/1).

5 البخاري رقم 1145 مسلم رقم 758.

صفة الكلام:

صفة الكلام صفة ذات، باعتبار نوع الكلام، وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله عز وجل ومشيئته، فهو سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، يتكلم بصوت يُسمع، يسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة، وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله، وسيسمعه المؤمنون في الآخرة ممن سبقت لهم من الله الحسنى، نرجو أن نكون منهم. والشيخ عبد القادر الجيلاني يقرر ثبوت هذه الصفة لله سبحانه، ويصف من ينكر ذلك بالابتداع فيقول وهو يخاطب المبتدعة[1]: يا مبتدع: ما يقدر أن يقول: أنا الله إلاَّ الله ربنا عز وجل متكلم ليس بأخرس، ولهذا أكَّد الله عز وجل الأمر في كلامه لموسى فقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[2] [النساء: 164]

8 . عقيدة الشيخ عبد القادر الجيلاني في القران الكريم:

لقد قرَّر الشيخ الجيلاني عقيدته في هذه المسألة المهمة، من مسائل العقيدة ببيان أن القران الكريم كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، حيث يقول: «ونعتقد أن القران كلام الله، وكتابه، وخطابه، ووحيه، الذي نزل به جبريل على رسول الله ﷺ كما قال الله عز وجل: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء: 193-195] هو الذي بلغه رسول الله ﷺ أمته امتثالاً لأمر رب العالمين، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص602.

[2] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الستون ص209.

أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: 67][1].

وفي وصاياه التي كان يوجهها لطلابه، كان يؤكد على وجوب التأدب مع كتاب الله، بعدم القول بخلقه فيقول: «احترموا كتاب الله، وتأدبوا معه، هو الوصلة بينكم وبين الله، لا تجعلوه مخلوقاً يقول الله عز وجل هذا كلامي، وتقولون أنتم لا، من رد على الله جعل القرآن مخلوقاً كفر بالله وبرئ منه. هذا القران المتلو، هذا المقروء، هذا المسموع، هذا المنظور، هذا المكتوب في المصاحف، كلامه عز وجل[2].

9 . رؤية الله عز وجل عند الشيخ عبد القادر الجيلاني:

ذهب الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، وفي الدار الآخرة، حيث يقول: وينظر أهل الجنة إلى وجهه ويرونه لا يضامون في رؤيته. قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس: 26] قيل الحسنى : هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة: 22-23][3]

10 . القضاء والقدر عند الشيخ عبد القادر الجيلاني:

يقول الشيخ عبد القادر: ينبغي أن يؤمن بخير القدر وشره، وحلو القضاء ومره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه بالحذر، وما أخطأه من الأسباب لم يكن ليصيبه بالطلب، وأن جميع

---

[1] الغنية للجيلاني (58/1).

[2] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الحادي عشر ص41.

[3] الغنية (55/1) الشيخ عبد القادر ص241.

ما كان في سالف الدهور والأزمان، وما يكون إلى يوم البعث والنشور، بقضاء الله وقدره المقدور، وأنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور، والذي خط في اللوح المسطور[1].

11. عذاب القبر وسؤال منكر ونكير:

يقرر الشيخ عبد القادر، وجوب الإيمان بنعيم القبر وعذابه، فيقول: والإيمان بعذاب القبر وضغطته، واجب لأهل المعاصي والكفر، وجميع الخلق سوى النبيين، ثم يخفف عن المؤمنين برحمة الله. وكذلك النعيم فيه لأهل الطاعة والإيمان[2]، كما يقرر وجوب الإيمان بمنكر ونكير، وأنهما يسألان الميت في قبره. فهو يقول ونؤمن بأن منكراً ونكيراً إلى كل أحد ينزلان، سوى النبيين ويسألانه ويمتحنانه، عما يعتقده من الأديان، وهما يأتيانه بالقبر فيرسل فيه الروح ثم يقعد فإذا سئل سُلّت روحه[3]. وقد استدلَّ أهل السنة والجماعة بعذاب القبر ونعيمه، بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة منها؛ قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: 27]. وقد فسرها النبي ﷺ قال: إذا أقعد المؤمن في قبره ثم شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ نزلت في عذاب القبر.[4]

---

[1] الغنية (65/1) الشيخ عبد القادر ص262.

[2] الغنية للجيلاني (66/1).

[3] المصدر نفسه (66/1).

[4] البخاري 1369، مسلم رقم 2871.

12. الشفاعة:

يقرر الشيخ عبد القادر وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ فيقول: والإيمان بأن الله تعالى يقبل شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر والأوزار واجب، قبل دخول النار عاماً للحساب، لجميع أمم المؤمنين، وبعد دخولها لأمته خاصة فيخرجون منها بشفاعته ﷺ وغيره من المؤمنين، حتى لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة في عمره مخلصاً لله عز وجل[1].

13. الحوض:

والشيخ عبد القادر الجيلاني يذكر أن عقيدة أهل السنة، هي الإيمان بوجود حوض النبي ﷺ، فيقول: وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا محمد ﷺ حوضا في القيامة، يسقى منه المؤمنون دون الكافرين، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، عرضه مسيرة شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حوله أباريق على عدد نجوم السماء، فيه ميزابان يصبان من الكوثر أصله في الجنة وفرعه في الموقف[2]. وقد قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم[3].

---

[1] الغنية للجيلاني (69/1).

[2] المصدر نفسه (71/1).

[3] البخاري رقم 6583 مسلم برقم 2290.

14. الصراط:

وأكد الشيخ عبد القادر الجيلاني في تعاليمه، على وجوب الإيمان بالصراط فقال: والإيمان بالصراط على جهنم واجب، وهو جسر ممدود على متن جهنم يأخذ من يشاء الله إلى النار، ويجوز من يشاء ويسقط في جهنم من يشاء ولهم في تلك الأحوال أنوار على قدر أعمالهم فهم بين ماش وساع وراكب وزحف وسحب[1]. قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: 71. 72].

ووردت أحاديث من السنة تضمنت ذكر الصراط، وصفاته، وصفة المرور عليه[2].

15. الميزان:

وردت النصوص الشرعية التي تؤكد وزن الأعمال يوم القيامة، والشيخ عبد القادر يذكر أن الإيمان به هو عقيدة أهل السنة فيقول: ويعتقد أهل السنة أن لله تعالى ميزاناً يزن فيه الحسنات والسيئات يوم القيامة، له كفتان ولسان: وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال، وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تكذيبهم قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : 47]،

---

[1] الغنية (70/1).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص371.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: 6، 9]. والعدل لا يوصف بالخفة والثقل[1].

وقال رسول الله ﷺ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[2].

هذه بعض المسائل العقيدية، التي كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يربي عليها تلاميذه، ويبثها في الجمهور العام، في عاصمة الخلافة العباسية بغداد، وكان لها تأثير كبير في رجوع الناس إلى الله، والالتزام بدينه، وساهمت على العموم في نهضة الأمة، حتى استطاعت التصدي للتغلغل الباطني والغزو الخارجي.

---

[1] الغنية للجيلاني (72/1).

[2] البخاري رقم 6406 مسلم 2694.

الفصل الرابع : البدعة وموقف الشيخ عبد القادر منها :

1 . أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة:

مدار سعادة الإنسان في الدارين، وفوزه وفلاحه في الحياتين، يعتمد على مدى اعتصامه بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، لأنهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه، وهو يعبر دروب الحياة ومجاهيلها[1]. والشيخ عبد القادر يقرر ذلك في قوله: لا فلاح لك، حتى تتبع الكتاب والسنة[2] ويقول: إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبداً[3].

2 . ذم البدع والتحذير منها:

والشيخ عبد القادر الجيلاني يحذر دائماً من الابتداع في الدين، ويوصي بالاتباع ويقرن ذلك بوصيته بالتوحيد مجانبة الشرك، حيث يقول: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا[4] ويقول في موضع آخر: اتبعوا ولا تبتدعوا، وافقوا ولا تخالفوا، أطيعوا ولا تعصوا، أخلصوا ولا تشركوا[5].

وبين أن أساس الخير في متابعة النبي ﷺ فيقول: أساس الخير متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله[6]، ثم بين أن الأولى للمؤمن العاقل أن يتبع السنة فيقول: والأولى للعاقل المؤمن الكيس، أن يتبع ولا يبتدع، ولا يغالي ويعمق ويتكلف، لئلا يضل ويزل ويهلك[1].

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص411.
[2] الفتح الرباني للجيلاني المجلس التاسع والثلاثون ص128.
[3] المصدر نفسه ص128.
[4] فتوح الغيب للجيلاني المقالة الثانية ص10.
[5] الفتح الرباني للجيلاني المجلس السابع والأربعون ص151.
[6] الغنية للجيلاني (79/1).

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذم البدع، ومحاربتها بالأدلة الكثيرة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: 63]. وقال ﷺ : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد[2].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أيضاً:

فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة، فالسنة ما سنه رسول الله ﷺ والجماعة ما اتّفق عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة الأئمة الأربعة، الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم أجمعين. ثم بعد هذا التعريف لأهل السنة والجماعة يحذر من أهل البدع فيقول : وألا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم، لأن الإمام أحمد رحمه الله قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه[3]، ولقول النبي ﷺ : «أفشوا السلام بينكم تحابوا»[4].

ولا يجالسهم، ولا يقرب منهم، ولا يهنيهم في الأعياد وأوقات السرور، ولا يصلي عليهم إذا ماتوا، ولا يترحم عليهم إذا ذكروا، بل يباينهم ويعاديهم في الله عز وجل معتقداً ومحتسباً بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير[5].

---

[1] مسلم رقم 1718.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص431.

[3] مسلم رقم 54.

[4] الغنية للجيلاني (80/1) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص431.

[5] الغنية للجيلاني (80/1) الشيخ عبد القادر ص432.

وقال: واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها؛ فعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة، وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة، ولا اسم لهم إلا اسما واحداً وهو أصحاب الحديث، ولا يلتصق بهم ما لقبَهم به أهل البدع، كما لم يلتصق بالنبي ﷺ تسمية كفار مكة له ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه، إلا رسولاً نبياً بريئاً من العاهات كلها[1].

3. طاعة أولي الأمر:

يرى الشيخ عبد القادر الجيلاني، طاعة أولي الأمر حيث يقول: وأهل السنة أجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وأتباعهم، والصلاة خلف كل برّ منهم وفاجر، والعادل منهم والجائر، ومن ولّوه ونصبوه واستنابوه[2].

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص477.

[2] المصدر نفسه ص507.

الفصل الخامس : مفهوم التصوف عند الشيخ عبد القادر الجيلاني

رسم الشيخ عبد القادر الجيلاني منهجاً متكاملاً للتصوف، يجمع بين العلم الشرعي المؤسس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبين التطبيق العملي والالتزام بالشرع[1]، فقد قال رحمه الله: انظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واجعل الكتاب والسنة إمامك، وانظر فيهما واعمل بهما، ولا تغتر بالقيل والقال والهوس، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [الحشر: 7] تخالفوه، فتتركوا العمل بما جاء به، ولا تخترعوا لأنفسكم عملاً وعبادة، كما قال الله عز وجل في حق قوم ضلوا سواء السبيل ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد: 27][2] وقال: يا قوم انصحوا القرآن بالعمل به، لا بالمجادلة فيه، الاعتقاد كلمات يسيرة والأعمال كثيرة، عليكم بالإيمان به، صدقوا بقلوبكم، واعملوا بجوارحكم، واشتغلوا بما ينفعكم، ولا تلتفتوا إلى عقول ناقصة دنية[3].

1 . تعريف التصوّف عند الشيخ:

قال: التصوف هو الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلْق[4]. وقال: هو تقوى الله، وطاعته، ولزوم ظاهر الشرع، وسلامة الصدر، وسخاء النفس، وبشاشة الوجه، وبذل

---

[1] فتوح الغيب للجيلاني، المقالة السادسة والثلاثون ص65.

[2] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الحادي عشر ص41.

[3] فتوح الغيب للجيلاني، المقالة السابعة والخمسون ص166.

[4] زاد المعاد في هدي خير العباد (1/71).

الندى، وكف الأذى، وتحمل الأذى والفقر، وحفظ حرمات المشايخ، والعشرة مع الإخوان والنصيحة للأصاغر والأكابر، وترك الخصومة، والإرفاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمر الدين والدنيا. وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التصوف يقوم على ثماني خصال:

أ ـ السخاء:

ويجعل القدوة في ذلك، خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي اشتهر صلوات الله وسلامه عليه بذلك.

ب ـ الرضا:

ويجعل القدوة فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكأنه بهذا يشير إلى أنه هو الذبيح، وأن استسلامه لأمر ربه ورضاه كان أبرز صفاته، وهذا القول مرجوح عند أهل السنة والجماعة، فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ الخلاف في هذه المسألة، ورجَّح بالأدلة القاطعة والبراهين القوية أن الذبيح هو إسماعيل عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام[1].

ج ـ الصبر:

والقدوة في التخلق بهذا الخلق العظيم، أيوب عليه السلام، فقد أثنى الله عليه بقوله:

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٤٤ ﴾ [ص : 44] .

---

[1] تفسير ابن كثير (39/4).

وذلك لما تحلّى به من الصبر، لمواجهة تلك الابتلاءات العظيمة، التي لا يكاد يطيقها بشر في جسده وماله وولده[1].

د . الإشارة:

ويذكر أن القدوة فيها هو زكريا عليه السلام، وكأنه يشير بهذا إلى سرعة بديهته، وشدة فهمه وذكائه عليه السلام، فإنه لما رأى أن الله يرزق مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، أدرك بفطنته مدى قدرة الله عز وجل، وعدم ارتباطها بالأسباب، وأن الله قادر على أن يرزقه ولداً، ولو كان شيخاً كبيراً قد وهن عظمه، واشتعل بالشيب رأسه مع كبر امرأته، فدعا الله وناداه وقال: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ ﴾ [آل عمران : 38][2]

هـ التصوّف:

والقدوة في ذلك موسى بن عمران عليه السلام. ولعله أراد بذلك الإشارة إلى الاصطفاء، الذي وقع عليه من الله بقوله عز وجل:﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: 144].

و . السياحة:

ويذكر أن القدوة فيها هو عيسى ابن مريم عليه السلام.

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص511.

[2] فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الخامسة والسبعون ص166.

ز ـ الفقر:

ولا شك أن أعظم الناس اتصافاً بهذا الوصف، وهو الافتقار إلى الله وصدق اللجوء والاعتماد عليه هو خير البشر، وسيد ولد آدم محمد ﷺ، والشواهد على هذا كثيرة جداً في سيرته العظيمة[1].

والصوفي عند عبد القادر الجيلاني، هو من تحقق من معاني التصوف، حتى صار أهلاً لأن يطلق عليه صوفي في وصفه: صوفي مأخوذ من المصافاة ؛ يعني عبد صافاه الله عز وجل، أو من كان صافياً من افات النفس، خالياً من مذموماتها، سالكاً لحميد مذاهبه، ملازماً للحقائق، غير ساكن إلى أحد من الخلائق[2]. ويضع ضابطاً دقيقاً للصوفي فيقول: الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [3] ويقول: الصوفي، الصادق في تصوفه يصفو قلبه عما سوى مولاه عز وجل، وهذا شيء لا يجيء بتغيير الخرق، وتعفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان، وحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب، وتجرده عما سوى مولاه عز وجل[4].

---

[1] الغنية (160/2).

[2] الفتح الرباني، المجلس التاسع والخمسون ص207.

[3] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخامس والعشرون ص90.

[4] بهجة الأسرار ص88 وقلائد الجواهر ص3.

2 . العوامل التي أدت إلى تصوّفه:

هناك عوامل عدة أثرت في تكوين شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني منها:

أ . نشأته في أحضان أسرة صالحة:

تتألف من والده، الذي كان مشهوراً بالصلاح والعبادة، وحسن السيرة، ووالدته فاطمة أم الخير بنت أبي عبد الله الصومعي، المعروف بالتقوى والورع، وعمته التي كانت على جانب كبير من الخير والصلاح[1]. وقد وصف الشيخ عبد القادر الجيلاني نفسه بقوله: أهَّلني الله عز وجل ببركات متابعتي للرسول ﷺ، وبِرّي بوالدي ووالدتي . رحمهما الله . عز وجل، والدي زاهد في الدنيا مع قدرته عليها، ووالدتي وافقته على ذلك ورضيت بفعله، كانا من أهل الصلاح والديانة والشفقة على الخلق[2].

ب . اتصاله بالصوفية في بغداد:

فقد شكَّل انتقاله إلى بغداد تطوراً جدياً في حياته، لما واجهه من تغير كبير في البيئة العامة، والحياة الخاصة حيث اختلط بالعلماء والفقهاء، ومشايخ الصوفية، وذلك في قاعات الدروس، ومجالس العلم، ووقف على انتماءاتهم ونشاطاتهم، وتأثر بذلك تأثراً كبيراً، وقد بدأ وقائع دراسته بدراسة الفقه الحنبلي، وقراءة القران الكريم، ثم اتجه بعد ذلك إلى دراسة التصوّف وعلومه، وكان لصحبته للشيخ حماد الدباس الأثر الكبير في تحديد توجيهاته الصوفية[3].

---

[1] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الواحد والستون ص224.

[2] ذيل طبقة الحنابلة لابن رجب (298/1).

ج ـ عدم ارتياحه إلى سلوك بعض الفقهاء والوعّاظ في زمانه:

والذين كانت تحكمهم الأهواء والمنافع الشخصية، وكانوا يثيرون الخلافات المذهبية، ويغيّرون انتماءاتهم طبقاً لمصالحهم الذاتية، ممّا عمق قناعته بأن انحراف بعض الفقهاء وتكسبهم بدينهم هو نتيجة حتمية لفراغ قلوبهم من التقوى ومراقبة الله عز وجل، وجعله يسلك طريق التصوف، لكن ثقافته الفقهية الي تستمد أصولها من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، كان لها الأثر الكبير في سلامته وعبوره ساحل النجاة، وعدم تأثره بالفلسفات وعلوم الكتابة[1].

د ـ المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي كانت للتصوّف في زمانه:

أثرُ الجهود الكبيرة التي بذلها الإمام الغزالي، الذي اشتهر أمره وذاع صيته، في بداية نشأة الشيخ عبد القادر، يُظْهِر تأثر الشيخ عبد القادر في كتابه (الغنية) حيث يظهر التشابه بينه وبين كتاب (الإحياء للغزالي)[2]، وفي نظري أن الشيخ عبد القادر بسط تعاليم الغزالي، ونقَّحها، وزاد عليها وكوّن تياراً إسلامياً متماسكاً، وحوّل هذا التيار إلى عمل جماعي منظم منضبط، واستطاع تكوين صف قيادي مساعد له، ساهم في تشكيل التيار الإسلامي العريض.

---

[1] المصدر نفسه ص518.

[2] المصدر نفسه ص518.

3 . موقفه من العلم والعمل:

اهتم الشيخ عبد القادر الجيلاني بجانبي العلم النظري، والعملي، وفي هذا المجال قال في نصيحة وجهها إلى بعض طلاّبه: إن أردت الفلاح فاصحب شيخاً عالماً بحكم الله عز وجل، وعلّمه يعلمك ويؤدبك، ويعرفك الطريق إلى الله عز وجل. ويقول: «إذا لم تتبع الكتاب والسنة، ولا الشيوخ العارفين بها فما تفلح أبداً»[1].

وكان الجانب العلمي موضع عناية الشيخ عبد القادر الجيلاني، فمن وصاياه التي كان يوجهها إلى طلاّبه ومريديه قوله: «يا غلام تحفظ القران ولا تعمل به، تحفظ سنة رسوله ﷺ ولا تعمل بها. فلأي شيء تفعل ذلك؟

تأمر الناس وأنت لا تفعل، وتنهاهم وأنت لا تنتهي، قال عز وجل : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣ ﴾ [الصف: 3]. لمَ تقولون وتخالفون أما تستحون؟ لم تدَّعون الإيمان ولا تؤمنون؟!»[2].

ويؤكد على التشبيه السيء للعالم الذي لا يعمل بعلمه بقوله: مثّل الله العالم الذي لا يعمل بعلمه بالحمار فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾ [الجمعة: 5] الأسفار هي كتب العلم، هل ينتفع الحمار بكتب العلم!! ما يقع بيده منها سوى التعب، والنصب.

من ازداد علمه، ينبغي أن يزداد خوفه من ربّه عز وجل وطواعيته له. يا مدعي العلم أين بكاؤك من خوف الله عز وجل؟ أين حذرك وخوفك؟ أين اعترافك بذنوبك؟ أين مواصلتك

---

[1] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس التاسع والثلاثون ص127.

[2] الفتح الرباني للجيلاني المجلس العاشر ص35.

للضياء بالظلام في طاعة الله عز وجل؟ أين تأديبك لنفسك ومجاهدتها في جانب الحق وعداوتها فيه؟ أنت همك القميص والعمامة والأكل والنكاح والدور والدكاكين والقعود مع الخلق والأنس بهم[1].

وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني يهتم بالجوانب التربوية كثيراً، إذ إن معظم توصياته لها علاقة مباشرة بالسلوك العملي التربوي، ومن الأمثلة على ذلك تلك الخصال الحميدة، التي وصّى بها، والتي تحتاج إلى مجاهدة عظيمة، حتى يمكن للإنسان الاتّصاف[2] بها، وهي:

أ . ألا يحلف بالله عز وجل لا صادقاً ولا كاذباً، ولا عامداً ولا ساهياً؛ لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعوَّد لسانه، دفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً وعامداً، فإذا اعتاد ذلك فتح الله عليه باباً من أنواره، يعرف منفعة ذلك في قلبه، ورفعة درجته، وقوة في عزمه، وفي صبره، والثناء عند الإخوان، والكرامة عند الجيران، حتى يأتّم به من يعرفه، ويهابه من يراه.

ب . أن يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً، لأنه إذا فعل ذلك، وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره، وصفا به علمه، كأنه لا يعرف الكذب، وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه، وعيَّره به في نفسه، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

ج . أن يحذر أن يَعِدَ أحداً شيئاً فيخلفه، ويقطع العِدَةَ البتة، فإنه أقوى لأمره وأقصد لطريقه، لأن الحلف من الكذب، فإذا فعل ذلك فُتح له باب السخاء، ودرجة الحياء، وأعطي مودة في الصادقين، ورفعة عند الله جلَّ ثناؤه.

---

[1] المصدر نفسه ص51.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص520.

د . أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق، أو يؤذي ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين، وله عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا، مع ما يُدَّخَر له من الدرجات ويُستَنقَذ من مصارع الهلاك، ويسلمه من الخلق ويرزقه رحمة العباد ويقربه منه عز وجل.

هـ – أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق، وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه، ولا يكافئه بقولٍ، ولا فعلٍ، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى، وإذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا والاخرة، والمحبة والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد، وعزَّ في الدنيا في قلوب المؤمنين.

و . ألا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة، بشرك، ولا كفر، ولا نفاق فإنه أقرب للرحمة، وأعلى في الدرجة، وهي تمام السنة، وأبعد عن الدخول في علم الله، وأبعد من مقت الله، وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى، يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين[1].

ز . أن يجتنب النظر إلى المعاصي، ويكف عنها جوارحه، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب، والجوارح في عاجل الدنيا، مع ما يدَّخره الله له من خير الاخرة.

ح . أن يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق مؤنة صغيرة، ولا كبيرة، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين، مما احتاج إليه، واستغنى عنه، فإنَّ ذلك في تمام عزة العابدين، وشرف المتقين، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة، فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغنى واليقين والثقة به عز وجل، ولا يرفع أحداً سواه، ويكون

---

[1] فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثامنة والسبعون ص117.

الخلق عنده في الحق سواء، ويقطع بأن هذه أسباب عز المؤمنين، وشرف المتقين، وهو أقرب باب للإخلاص.

ط - ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين، ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم، فإنه العز الأكبر والغنى الخاص، والملك العظيم، والفخر الجليل، واليقين الصافي، والتوكل الشافي الصريح، وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل، وهو باب من أبواب الزهد، وبه ينال الورع، ويكمل نسكه، وهو من علامات المنقطعين إلى الله ﷻ.

ى - التواضع، لأنّ به يُشيَّد محل العابد، وتعلو منزلته، ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق، ويقدر على ما يريد من أمر الدنيا والاخرة، وهذه الخصلة أصل الخصال كلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في السَّراء والضراء، وهي كمال التقوى والتواضع، وألا يلقى العبد أحداً من الناس إلا رأى له الفضل عليه ويقول: عسى أن يكون عند الله خيراً مني وأرفع درجة، فإن كان صغيراً قال: هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت، فلا شك أنه خير مني، وإن كان كبيراً قال: هذا عَبَدَ الله قبلي، وإن كان عالماً قال: هذا أعطي ما لم أبلغ ونال ما لم أنل وعلم ما جهلت، وهو يعمل بعلمه، وإن كان جاهلاً قال: هذا عصى الله بجهل، وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بما يختم لي وبما يختم له.

وإن كان كافراً[1] قال: لا أدري عسى أن يُسْلم فيختم له بخير العمل، وعسى أن أكفر فيختم لي بسوء العمل[1].

---

[1] هذه العبارة فيها نظر، لأن المسلم لا يمكن أن يرى أن الكافر أفضل منه، أو أنه عند الله خير منه وأرفع درجة، ولعلها خرجت من الشيخ مخرج المبالغة في التواضع.

الفصل السادس : آداب الشيخ والمريد والصحبة عند عبد القادر الجيلاني

1 . واجبات المريد:

وضع الشيخ عبد القادر جملة من الواجبات، التي يلتزم بها المريد المبتدئ، يمكن حصرها فيما يلي:

أ . الاعتقاد الصحيح هو الأساس، ويكون على عقيدة أهل السنة، والجماعة، والسلف الصالح.

ب . التمسُّك بالكتاب والسنة والعمل بهما، أمراً ونهياً أصلاً وفرعاً.

ج . الصدق، والاجتهاد، والإخلاص مع الله، والوفاء بوعده، وامتثال أمره، والاستمرار في عبادته، ومرضاته، ومحبته، وكل ما يؤدي إلى قربه.

د . الحذر من التقصير، ومخالطة المقصرين أبناء القيل والقال، أعداء الأعمال والتكاليف المدَّعين للإسلام.

هـ الاتصاف بصفة الكرم مع اليقين والاعتقاد، أن الله لم يخلق ولياً بخيلاً.

و . الرضا بعدم الشهرة، وخمول الذكر، وترك الغرور، وقتل الشهوات، والرضا بالجوع والحرمان.

ز . الإيثار، وتقديم أقرانه عند الشيخ وفي مجالس العلم، وعند العلماء، وأصحاب الفضل، فيجوع هو ويشبع الباقون، ويرضى بالذل لعز الجماعة وكرامتهم.

---

[1] فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثامنة والسبعون ص117.

ح . أن يطلب من الله الستر، ومغفرة ما سلف من الذنوب، والعصمة فيما بقي من العمر، والتوفيق لما يحبه الله سبحانه من الأعمال الصالحة، والرضا عنه في حركاته وسكناته.

ط . أن يتحبب إلى الشيوخ، وإلى جميع الصالحين، وأن يعفو ويصفح عن زلات الغير، وإساءات الناس إليه.

ي . أن يزهد في الملذات، وأن يقاوم الرغبة في التوسع في الشهوات[1].

هذه هي مجمل الواجبات، التي ينبغي على المريد أن يقوم بها، وهي كفيلة بطبعه على الاستقامة وكريم الأخلاق ونبل الصفات[2].

2 . آداب المريد مع الشيخ:

نظراً لأهمية صلة المريد بالشيخ، فقد وضع الشيخ عبد القادر الجيلاني آدابا خاصة بالمريد تجاه شيخه، الذي سيصحبه وهي:

أ . طاعته وعدم مخالفته في الظاهر، أو الاعتراض عليه في الباطن، مع الإكثار من قراءة ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾. [الحشر: 10]. وإذا ظهر من شيخه يكرهه في الشرع، استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة، ولا يصرح به لئلا ينفر منه الشيخ بسببه.

---

[1] الغنية للجيلاني (163/2) بتصرف يسير.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص530.

ب . أن يستر ما قد يرى من عيوب الشيخ، ويتهم نفسه فربما وقع ذلك، لعدم فهمه مراد الشيخ، فإذا لم يجد للشيخ عذراً استغفر له، ودعا بالتوفيق، ولا يخبر أحداً بما حدث منه، ولا يعتقد أن الشيخ معصوم، وإنما حصل منه ما حصل عن غفلة.

ج . ملازمة الشيخ وعدم الانقطاع عنه، وإذا حدث وأن عبس في وجهه، أو غضب عليه، أو ظهر إعراض، فليفتش في نفسه، وما عسى أن يكون قد وقع منه من سوء أدب، أو تفريط بترك أمر الله، أو فعل نهيه، وعليه أن يبادر إلى التوبة والاستغفار والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل.

د . أن يلتزم بالآداب أمام شيخه، وأن يتخير أفضل الأساليب عند التخاطب معه، وأن يفعل معه ما يسرّه.

هـ – أن يحظى الشيخ بثقة مريده، ويقينه بأنه أهل لأن يتلقى العلم، والمعارف على يديه.

و . أن يحذر من مقارفة الذنوب، لأنها تذهب ببركة العلم، وتغيِّر الحال كما حدث لادم حينما أخرج من الجنة بسبب الذنب.

ز . ألا يتكلم أمام شيخه، إلا للضرورة، وأن يسكت إذا دارت مسألة عند شيخه، ولو كان الجواب عنده، بل ينتظر ما يقوله شيخه ولا يعارض[1].

والذي ننبه إليه، أن تكون الطاعة في المعروف، فإذا أملى الشيخ ما يوافق الكتاب والسنة فلا شك في لزوم طاعته، أما إذا أملى الشيخ ما يخالف الكتاب والسنة، فالواجب عدم طاعته، هذا إذا كان الشيخ معروفاً بالدين والإيمان والاستقامة والصلاح، أما من عرف

---

[1] الغنية للجيلاني (164/2) . بتصرف يسير.

بالابتداع والفجور، فيجب الإنكار عليه وبيان بدعته وفجوره، وتحذير الناس منه، فضلاً عن أن يطاع فيما يأمر به[1].

3 . الآداب المتعلقة بالشيخ تجاه مريده:

لكي تتم عملية التربية السلوكية بنجاح، ولأنها مسؤولية مشتركة تتم من طرفين هما المريد والشيخ، فإن الشيخ عبد القادر الجيلاني يضع آدابا وواجبات لا بدَّ أن يراعيها الشيخ أثناء تعامله مع المريد وهي:

أ . أن يقبله لله تعالى، ويتعهّده بالنصيحة والرفق واللين، فيكون معه كأبيه وأمه شفقة ورحمة، وألا يحمله ما لا يطيق، بل يتدرج معه، حتى ينقله من موافقة الطبع إلى أوامر الشرع، ومن الرخص إلى العزائم.

ب . إذا علم منه صدق المجاهدة، فلا يتهاون معه، بل يلزمه بأوامر الله، ويزجره عن نواهيه ابتغاء مرضاته سبحانه دون النظر إلى عائد.

ج . أن يثبته على الطريق، وألا يعمل ما من شأنه التنفير، لأن القصد هو الله، وما كان لله دام واتصل.

د . أن يراقب سلوكه، فإذا رأى مخالفة للشرع، وعظه وزجره وحذره من العودة، ورغَّبه في التوبة إلى الله.

هـ – أن يحرص على تلقينه مبادئ الخير، ويتجنب الفاحش من القول والخلق؛ لأنه محل القدوة والرحمة، يرعى مصالحه وكل مشاكله، ويحمل عنه عبئه[1].

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص530.

4 . آداب صحبة الإخوان:

بدأ الشيخ عبد القادر الجيلاني، تلك الآداب ببيان آداب صحبة الإخوان، وما ينبغي مراعاته في التعامل معهم، من ذلك :

أ . الإيثار، والصفح عنهم، والقيام معهم في شؤونهم، وتقديم الخدمة الممكنة لهم.

ب . ألا يرى له على أحد حقّاً، ولا يطالب أحداً بحق، بل يرى أن لكل منهم عليه حقاً، ثم يجتهد في أداء حقوقهم.

ج . أن يظهر لهم الموافقة في جميع ما يقولون، أو يفعلون . وهذا محمول بالطبع على قول الحق والفعل الحسن . وأن يتأول لهم ويعتذر عنهم.

د . أن يجتنب مجادلتهم ومخالفتهم، ويتعامى عن عيوبهم، فإن خالفه أحد منهم في شيء، سلَّم له ما يقول في الظاهر، وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقول[2]، وهو أيضاً محمول على كون الخلاف في الأمور العادية والحياتية، أما إذا كان الخلاف في شيء من الشرع فلا بدَّ من بيان الحق بدليله وعدم الموافقة على الباطل.

هـ – أن يجتنب فعل ما يكرهونه من حق أو أذية أو غيبة[3].

و . أن يكون المعيار لعلاقات الإنسان بالآخرين، هو الحب في الله . عز وجل .، والبغض فيه يقول في هذا المعنى: «إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبَّه، فأعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبغوضة، فأبشر بموافقتك لله عز وجل ولرسوله، وإن

---

[1] الغنية للجيلاني (168/2) بتصرف يسير.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص534 الغنية للجيلاني (169/2).

[3] الغنية (169/2) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص535.

كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى، تبغضه بهواك ظالماً له ببغضك إياه وعاص لله عز وجل ولرسوله، مخالف لهما، فتب إلى الله عز وجل من بغضك، واسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده؛ لتكون موافقاً له عز وجل.

وكذلك افعل بمن تحبه، يعني اعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت محبوبة فيهما فأحببه، وإن كانت مبغوضة فأبغضه، كيلا تحبه بهواك وقد أُمرت بمخالفة هواك، قال عز وجل: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [ص: 26][1].

وهكذا ومن خلال تلك الآداب فإننا نرى أن الشيخ عبد القادر الجيلاني لم يجعل من التصوف حاله انفصال عن المجتمع، الذي يعيش فيه الإنسان، لأن كماله وسمو أخلاقه لا تبرز بمجرد حصوله على المعارف والعلوم، وإنما تظهر في حالة احتكاكه ومخالطته وتعامله بمن يعيش معهم في المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته، وهو المحك الذي يظهر الإنسان على حقيقته، ولذا كان لا بد من مراعاة الآداب، حتى تنصلح الأحوال وتتقارب القلوب[2].

---

[1] فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الحادية والثلاثون ص75.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص535 – 536.

الفصل السابع : الأحوال والمقامات

1 . التوبة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: التوبة النصوح هي الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود[1]، كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يركز عليها ويهتم بشأنها؛ قال العلامة أبو الحسن الندوي: ظهر في بغداد رجل قوي الشخصية قوي الإيمان قوي الدعوى قوي التأثير، هو الشيخ عبد القادر الجيلاني، فجدَّد دعوة الإيمان والإسلام الحقيقي، والعبودية الخالصة، وحارب النفاق، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه، يدخل منه المسلمون يجددون العهد والميثاق مع الله تعالى[2]. والشيخ عبد القادر الجيلاني يعتبر التوبة باب الدخول على الله سبحانه، لنيل رضوانه في الدنيا والآخرة، فينبغي اغتنامها، وعدم تفويت فرصتها يقول: اغتنموا باب التوبة وادخلوا ما دام مفتوحاً لكم[3]، ويبين أن المهم ليس التوبة فحسب، ولكن المهم هو الاستمرار والثبات عليها، فيقول: تب واثبت على توبتك، فليس الشأن في توبتك، إنما الشأن في ثبوتك عليها، ليس الشأن في غرسك الشأن في ثبوته وتغصينه وثمرته[4]، قد جعلها بمنزلة الماء الذي تزول به نجاسة الذنوب وقذارة المعاصي إذ يقول: يا غلام لا تيأس من رحمة الله، بمعصية ارتكبتها بل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها[5].

---

[1] التعريفات للجرجاني ص95.

[2] رجال الفكر والدعوة نقلا عن الشيخ عبد القادر ص597.

[3] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الرابع ص18.

[4] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص597.

[5] الفتح الرباني، المجلس الثالث عشر ص48.

وعن التائبين يصنّف الشيخ عبد القادر الناس في التوبة إلى ثلاثة أصناف: توبة العوام، وتوبة الخواص، وتوبة خاص الخاص، ويجعل لكل صنف منهم توبة تخصه فيقول: «توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خاص الخاص من ركون القلب إلى ما سوى الله عز وجل، ثم يوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: 31] بأن هذا: خطاب للعموم بالتوبة، وأن حقيقة التوبة في اللغة الرجوع، يقال: تاب فلان من كذا، أي رجع عنه، فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع، والعلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات من الله عز وجل، ومن جنته، وتركها مقرب إلى الله عز وجل وجنته فكأنه عز وجل يقول: ارجعوا إلي من هوى نفوسكم، ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندي في المعاد، وتبقوا في نعيمي في دار البقاء والقرار وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا رحمتي العليا المعدة للأبرار[1]. كما يقرر الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة، وأنها تكون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها[2].

ثم يعرف الكبائر بأنها: ما توعَّد الله عليه بالنار، أو ما أوجب عليه الحد في الدنيا، وأن بعض العلماء حصرها في سبع عشرة كبيرة: أربع في القلب؛ وهي الشرك بالله، والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله. وأربع في اللسان: وهي شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس، والسحر. وثلاث في البطن وهي: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، واثنتان في الفرج وهما: الزنى واللواط. واثنتان في اليدين، وهما:

---

[1] الغنية للجيلاني (116/1).

[2] الغنية (116/1).

القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف، وواحدة في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين[1]. وتحدث عن صدق التوبة، وصحتها، ووضع لها شروطاً ثلاثة:

. أولها: الندم على ما عمل من المخالفات.

. وثانيها: الإقلاع وترك الزلات في جميع الحالات والساعات.

. وثالثها: العزم على ألا يعود إلى ما اقترف من المعاصي، والخطيئات[2].

ووضع الشيخ عبد القادر الجيلاني للتوبة معياراً دقيقاً هو: توجّع القلب عند علمه بفوات محبوبه، فتطول حسراته، وأحزانه، وبكاؤه، ونحيبه، وانسكاب عبراته، فيعزم على ألا يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من شؤم ذلك[3].

ويجعل أيضاً مقياساً اخر يمكن بواسطته معرفة التوبة الصادقة، وهو أربعة أشياء:

. أن يملك لسانه من الفضول، والغيبة، والنميمة، والكذب.

. ألا يرى لأحد في قلبه حسداً، ولا عداوة.

ـ أن يفارق إخوان السوء.

. أن يكون مستعداً للموت، نادماً مستغفراً، لما سلف من ذنوبه مجتهداً في طاعة ربه[4].

ويرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوبة على وجهين:

أحدهما: في حق العباد تجاه بعض، وهذا لا يتحقق إلا برد المظالم، والتحلل من الحقوق بإعادتهما إلى أصحابها.

---

[1] المصدر نفسه (117/1).

[2] المصدر نفسه (122/1).

[3] المصدر نفسه (122/1).

[4] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص600.

والثاني: يتعلق بحق الله تعالى، فتكون التوبة منه بالاستغفار الدائم باللسان والندم بالقلب والإضمار على ألا يعود إليه في المستقبل[1]. هذه التوبة عند الشيخ عبد القادر الجيلاني، ونظرته إليها، وتوجيهاته للتائبين، وقد أوردها بعبارات جميلة وترقيقات بديعة، تدل على حساسية مرهفة لمعنى التوبة، وموقف العبد منها[2].

2 . الزهد:

والشيخ عبد القادر الجيلاني يفرق بين الزاهد الحقيقي، والمتزهد الصوري فيقول: المتزهد يخرج الدنيا من يديه، والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قلبه[3] ويقول: الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه فيناولها، ويلبس ظاهره بها، قلبه مملوء من الزهد فيها وفي غيرها[4] ويقول: وفي الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها، يملكها ولا تملكه، تحبه ولا يحبها، تعدو خلفه ولا يعدو خلفها، يستخدمها ولا تستخدمه، يفرقها ولا تفرقه، قد صلح قلبه لله عز وجل، فلا تقدر الدنيا أن تفسده، فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه[5]. ويقول: «المؤمن له نية صالحة في جميع تصرفاته، لا يعمل في الدنيا للدنيا، يبني في الدنيا للآخرة، يعمر المساجد والقناطر والمدارس والربط، ويهذب طرق المسلمين، وإن بنى غير هذا فللعيال والأرامل والفقراء وما لا بدَّ له منه يفعل ذلك حتى يبنى له في الاخرة[6]. وبين الشيخ عبد القادر أن الزهد ليس أمراً

---

[1] الغنية للجيلاني (126/1).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص600.

[3] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون ص106.

[4] المصدر السابق، المجلس الخامس والعشرون ص89.

[5] المصدر نفسه المجلس الرابع والثلاثون ص113.

[6] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس السادس عشر ص59.

سهلاً يمكن الاتصاف به دون تعب أو معاناة، كما أنه ليس في قدرة كل واحد أن يكون زاهداً، لأن الزهد على حد تعبير الجيلاني: منة صالحة وإلا فما يقدر أحد أن يزهد في قسمه. المؤمن يستريح من ثقل الحرص، لا يشره ولا يستعجل. زهد في الأشياء قلبه وأعرض عنها سرّه واشتغل بما أمر به، وعلم أن قسمه لا يفوته، فلم يطلبه ترك الأقسام تعدو خلفه، وتدل وتسأله قبولها[1]. وقال: يا غلام هذا الزهد ليس صنعة تتعلمها، ليس هو شيئاً تأخذه بيدك ترميه، بل هو خطوات، أولها النظر في وجه الدنيا فتراها كما هي على صورتها عند من تقدم من الأنبياء والرسل[2].

والشيخ عبد القادر الجيلاني يربط بين العلم والزهد، ويرى لا بدَّ من تلازمهما للوصول إلى الله عز وجل، وهذا واضح من قوله: ما وصل من وصل إلا بالعلم والزهد في الدنيا والإعراض عنها بالقلب والقالب[3]. وقال: من صحَّ زهده في الخلق، صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر فيه[4]. والشيخ عبد القادر الجيلاني على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الذي قال في الزهد: الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص. الثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين. وعلق ابن القيم على كلام الإمام أحمد فقال: وهذا الكلام من الإمام أحمد، يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ، مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته، وهو من أجمع الكلام، وهو يدل على أنه رضي الله عنه من هذا العلم بالمحل الأعلى، وقد شهد الشافعي

---

[1] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثامن والعشرون ص98.

[2] الشيخ الرباني للجيلاني، المجلس الثلاثون ص107.

[3] المصدر نفسه ص106.

[4] المصدر نفسه المجلس الثاني والستون ص232.

رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد[1]. وهكذا يتبين موافقة الشيخ عبد القادر الجيلاني لأهل السنة والجماعة في مفهوم الزهد[2].

3 . التوكل:

تناول الشيخ عبد القادر الجيلاني مسألة التوكل، وتعرَّض لأربع مسائل:

الأصل في مشروعيته وتعريف حقيقته:

فقال: الأصل فيه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: 3] وقوله عز وجل: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 23]. وحقيقته تفويض الأمور إلى الله عز وجل، والتنقي من ظلمات الاختيار والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، فيقطع العبد ألا تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته وما لم يقدَّر له لا يناله، فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه[3].

المسألة الثانية: أقسام التوكل ودرجاته:

يرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوكل ينقسم إلى ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض: فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه[4]. ولكن ابن القيم يرى أن التوكل ينقسم إلى سبع درجات:

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم (12/2).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص606.

[3] الغنية للجيلاني (189/2).

[4] الغنية للجيلاني (189/2).

الأولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته، وقدرته، وهي أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

الثانية: إثبات الأسباب والمسببات.

الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد المتوكل، فإنه لا يستقيم توكل العبد، حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيها علائق الشرك، فتوكل معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق ؛ لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح.

الرابعة: اعتماد القلب على الله، واستناده وسكونه إليه، بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب، ولا سكون إليها، علامة هذا ألا يبالي بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه عند إدبار ما يحب وإقبال ما يكره منها، لأن اعتماده على الله وسكونه إليه، ومثل حاله كحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه، لا يعرف غيره، وليس في قلبه التفات إلى غيره. كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه.

الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه ولذلك فسّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، والتحقيق أن حسن الظن بالله يدعو إلى التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه.

السادسة: استسلام القلب له، وانجذاب دواعيه كلها إليه، ولهذا فسَّره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل، يقلِّبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير.

السابعة: التفويض، وهو روح التوكل ولبُّه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله، وإنزالها به طلباً، واختياراً لا كرهاً واضطراراً، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف كل أموره إلى أبيه، العالم بشفقته عليه وتمام كفايته وحسن تدبيره، فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبير لنفسه، فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويض أموره كلها إلى أبيه[1].

المسألة الثالثة: ثمرات التوكل:

ويرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن للتوكل ثمرات فقد قال: من أحب القوة في دين الله عز وجل، فليتوكل على الله عز وجل، لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويريه العجائب، لا تتوكل على درهمك ودينارك وأسبابك، فإن ذلك يعجزك ويضعفك، وتوكَّل على الله عز وجل، فإنه يقويك ويعينك ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب[2].

وهذا ما أكَّده شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يوضح معنى ما نقل عن الشيخ عبد القادر الجيلاني من أنه رُئي في المنام، وهو يقول إخباراً عن الحق سبحانه: من جاءنا تلقيناه من البعيد ومن تصرَّف بحولنا ألنَّا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد. فقال فالأوَّلتان: العبادة والاستعانة، والآخرتان الطاعة والمعصية. فالذهاب إلى الله هي عبادته وحده كما قال تعالى: في الحديث القدسي: (من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته

---

[1] مدارج السالكين (112/2).

[2] الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الثاني والأربعون ص134.

هرولة)[1]. والتقرب بحوله هو الاستعانة والتوكل عليه، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي الأثر: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله[2].

وعن سعيد بن جبير قال: التوكل جماع الإيمان[3]، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3]. وقوله: ومن اتبع مرادنا يعني المراد كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: 28] وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 6]. وفي الحديث الصحيح: (لئن سألني لأعطينهُ ولئن استعاذني لأعيذنه)[4]. وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: 26] وقوله: ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد يعني: ما كره الله من المحرم والمكروه لأجل الله ؛ رجاء ومحبة

---

[1] البخاري رقم 7536 مسلم رقم 2675.

[2] الشيخ عبد القادر ص612.

[3] السنة، عبد الله بن أحمد رقم 776.

[4] المصدر نفسه.

وخشية أعطيناه فوق المزيد لأن هذا مقام الصبر[1]. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: 10].

المسألة الرابعة: الأسباب:

بيَّن الشيخ عبد القادر الجيلاني اعتقاده حولها، والمتضمن ضرورة الأخذ بها، مع عدم الاعتماد عليها فقال: «اعتقاد المتبعين لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ : أن السيف لا يقطع بطبعه، بل الله عز وجل يقطع به، وأن النار لا تحرق بطبعها، بل الله عز وجل المحرق بها، وأن الطعام لا يشبع بطبعه، بل الله عز وجل يشبع به، وأن الماء لا يروي بطبعه بل الله عز وجل المروي به. وهكذا جميع الأسباب على اختلاف أجناسها، الله عز وجل المتصرف فيها وبها وهي الة بين يديه يفعل ما يشاء[2]، وهذا لا يعني دعوته إلى ترك الأسباب، أو أن هناك تعارضاً بين التوكل والأخذ بالأسباب، بل إن التوكل الصحيح في مفهوم الشيخ الجيلاني، هو الأخذ بالسبب والتوكل على مسبب الأسباب، إذ يقول في هذا الصدد: أعط نفسك في بحر التوكل، فتجمع بين السبب والمسبب[3].

---

[1] البخاري رقم 7536.

[2] فتاوى ابن تيمية (549/10) الشيخ عبد القادر ص613.

[3] المصدر نفسه ص167.

4 . الشكر:

تحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الشكر من خلال ثلاث مسائل:

الأولى: حقيقة الشكر فقال رحمه الله:

وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق، الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع[1].

وأما أقسامه:

فإنه ـ رحمه الله ـ قد قسَّم الشكر إلى ثلاثة أقسام فقال: الشكر ينقسم أقساماً ؛ إلى شكر باللسان ؛ وهو اعترافه بالنعمة مبعث الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان ؛ وهو اتصاف بالوفاء والخدمة، وشكر بالقلب ؛ وهو اعتكاف على بساط الشعور بإدامة حفظ الحرمة[2].

وفي موضع اخر يصف الشيخ عبد القادر الجيلاني كيفية الشكر فيقول: «أما كيفية الشكر فيكون باللسان بالاعتراف بالنعمة، وأنها من عند الله عز وجل وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك، ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها. وأن قاسمها ومجريها وموجدها، والسبب لها هو الله عز وجل، والقاسم هو الله، والمجري هو، فهو أحق بالشكر من غيره. وأما الشكر بالقلب؛ فالاعتقاد الدائم، والعقد الوثيق الشديد المبرم أن جميع ما بك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك. وأما شكر الجوارح: فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل، دون غيره من الخلق، فلا تجب أحداً من الخلق فيما فيه إعراض عن الله تعالى،

---

[1] الغنية للجيلاني (2/193).

[2] الغنية للجيلاني (2/194).

وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة، بحيث تجعل طاعة الله أصلاً ومتبوعاً وإماماً، وما عداها فرعاً وتابعاً ومأموماً[1].

وأمَّا أصناف الشاكرين: فقد جعلهم ثلاثة أصناف:

الأولى: من وصفهم بالعالمين، وهم السواد الأعظم من العباد، وشكرهم يكون من جملة أقوالهم.

والثاني: من وصفهم بالعابدين، وهم المؤمنون على وجه العموم، والمباشرون للعبادات المفروضة عليهم، يكون نوعاً من أفعالهم.

والثالث: من وصفهم بالعارفين، والمقرَّبين، وشكرهم باستقامتهم لله عز وجل في سائر أحوالهم، واعتقادهم أن جميع ما هم فيه من الخير، وما يظهر منهم من الطاعة والعبودية، والذكر لله عز وجل بتوفيقه سبحانه[2].

5 . الصبر:

تحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الصبر، فقال: الأصل في مشروعية الصبر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: 200] وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل: 127]

[1] فتوح الغيب للجيلاني ص134.

[2] الغنية للجيلاني (194/2) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص621.

وقوله ﷺ : «إنما الصبر عند الصدمة الأولى[1]». وأما أنواع الصبر، فقد ذكر الشيخ عبد القادر أنه على ثلاثة أضرب:

الأول: صبر لله عز وجل، وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه.

الثاني: صبر من الله، وهو الصبر على جريان قضائه، وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا.

الثالث: صبر على الله، وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والثواب في الدار الاخرة[2]. وقال عن أصناف الصابرين بأنهم: ثلاثة أصناف: مُتَصبِّر، وصابر، وصبَّار[3]. وأخيراً فإن الشيخ عبد القادر الجيلاني عند تمييزه للصبر يرى أنه على قسمين:

أحدهما: صبر على ما هو كسب من فعل أوامر الله، وترك نواهيه.

والثاني: صبر على ما ليس بكسب له، مما يقدر الله عليه من قضاء فيه مشقة وألم، فيصبر على ذلك[4].

وبالجملة فإن معاني الصبر تكاد تكون محصورة في الصبر على أداء الواجبات، وترك المنهيات، والرضا بالمقدورات، وهو واضح في كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني . رحمه الله .[5]

---

[1] البخاري رقم 1702 مسلم رقم 926.

[2] الغنية (195/2).

[3] المصدر نفسه (195/2).

[4] المصدر نفسه (195/2).

[5] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص625.

6 . الرضا:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: فأما المؤمن، فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له وقضاء الله ـ عز وجل ـ خير من قضاء المرء لنفسه، وما قضاه الله لك يا ابن ادم فيما تكره، خير لك مما قضى الله عز وجل لك فيما تحب، فاتق الله تعالى، وأرض بقضائه قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 216]. يعني ما فيه صلاح دينكم ودنياكم، فالله عز وجل طوى عن الخلق مصالحهم، وكلَّفهم عبوديته، من أداء الأوامر، وانتهاء المناهي، والتسليم في المقدور، والرضا بالقضاء، فيما لهم وعليهم، في الجملة، واستأثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح، فينبغي للعبد أن يديم الطاعة لمولاه، ويرضى بما قسم الله له ولا يتهمه[1] . وقال: واعلم أنَّ تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته للقدر، والمقدور، موافقته لهواه، وترك رضاه بالقضاء، فكل من رضي بالقضاء استراح، وكل من لم يرضَ به طالت شقوته، وتعبه، ولا ينال من الدنيا إلا ما قُسمَ له[2].

7 . الصدق:

والأصل فيه عند الشيخ عبد القادر الجيلاني، قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: 119]. وما روي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر

---

[1] الغنية للجيلاني (197/2).
[2] المصدر نفسه (197/2).

يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإيَّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً[1]».

والشيخ عبد القادر يحدِّثُنا عن صدقه في أحلك الظروف، فقد كان مثالاً للصدق مُنذ شبابه، وهذه القصة تبين مدى صدقه حيث قال: عندما استأذنت والدتي للسفر إلى بغداد طلباً للعلم، سلمتني أربعين ديناراً، وخاطتها تحت إبط قميصي، وأوصتني بالصدق، وفي أثناء سفرنا، خرج علينا ستون فارساً، فأخذوا القافلة، ولم يتعرض لي أحد فاجتازني أحدهم وقال لي: كم معك يا فقير؟ فقلت: أربعون ديناراً. فقال: وأين هي؟ فقلت: مخاطة في قميصي تحت إبطي. فظنني أستهزئ به فتركني وانصرف. ومرَّ بي آخر فقال لي: مثل ما قال الأول ؛ فأجبته كما أجبت الأول، فتركني وانصرف، وتوافياً عند مُقَدَّمِهم، فأخبراه بما سمعاه مني فقال: عليَّ به فأُتِيَ بي إليه، وإذا هم على تلٍّ يقتسمون أموال القافلة، فقال لي: ما معك؟ قلت أربعون ديناراً. فقال: وأين هي؟ قلت: مخاطة في قميصي تحت إبطي. فأمر به فَفُتِقَ فوجد فيه الأربعين ديناراً، فقال: ما حملك على الاعتراف؟ قلت: إن أمي عاهدتني على الصدق، وإني لا أخون عهدها. فبكى المقدَّم. وقال: أنت لم تَخُنْ عهد أمك، وأنا لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يديَّ، فقال له أصحابه: أنت كنت مقدماً في قطع الطريق، وأنت الآن مقدمنا في التوبة، فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوا منهم[2].

---

[1] البخاري رقم 6094 مسلم رقم 2607 الشيخ عبد القادر الجيلاني ص633.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص64.

وللصدق عند الشيخ عبد القادر الجيلاني منزلة عالية، فهو عماد الأمر وفي ذلك يقول: «واعلم بأن الصدق عماد الأمر، وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة وهو قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ **[النساء: 69]**،

وقد فرّق الشيخ عبد القادر الجيلاني بين الصادق والصديق بقوله: «والصادق ؛ هو الاسم اللازم من الصدق، والصديق هو المبالغة منه، وهو من تكرر فيه الصدق، فصار دأبه، وسجيته، وصار الصدق غالبه، فالصدق استواء السرِّ والعلانية، والصادق ؛ هو الذي صدق في أقواله، والصديق من صدق في أقواله، وجميع أفعاله وأحواله[1].

وهكذا يتبين اهتمام الشيخ عبد القادر، وتأكيده على أهمية التخلق، والاتصاف بهذه الصفات الحميدة، التي تكسب العبد سعادة الدنيا، وفلاح الاخرة[2].

---

[1] الغنية (200/2).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص634.

الفصل الثامن : تأسيس الطريقة القادرية

تنتسب الطريقة القادرية، إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي يعتبر المؤسس الأوّل لها خصوصاً بشكلها الجماعي، والمنظم، والقائم على جميع المريدين، وربطهم بمشايخ الطريقة، لتأديبهم وتربيتهم، حيث كان التصوّف في السابق يقوم على أساس فردي، لا أثر له للتجمع فيه، ولم يظهر في شكل منظم تحت طريقة واحدة، إلا في عهد الشيخ عبد القادر الجيلاني والمتتبع لظهور الطرق الأخرى، يرى أنها جميعها إنما ظهرت بعد الشيخ عبد القادر الجيلاني[1]، والمطَّلع على سيرة الشيخ عبد القادر، يرى في توجيهاته ووصاياه، التي وصّى بها أتباعه ؛ الحرص على التمسك بالكتاب والسنة، والالتزام بالأخلاق الحميدة، وفيما يلي عرض لأبرز معالم الجانب النظري لهذه الطريقة:

1 . التأكيد على التمسك بالكتاب والسنة:

يقول رحمه الله وهو يوجِّه وصيته إلى ولده عبد الرزاق: أوصيك بتقوى الله، وطاعته، ولزوم الشرع، وحفظ حدوده، وتعلَّمْ يا ولدي . وفقنا الله وإياك والمسلمين . أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة، وسلامة الصدر، وسخاء اليد، وبذل الندى، وكف الجفا، وحمل الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان[2]. ويقول في موضع آخر: أدخل الظلمة بالمصباح، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ فإن خطر خاطر[3]، أو جدَّ الهام، فأعرضه على الكتاب والسنة، فإن وجدت فيهما تحريم ذلك مثل أن تلهم الزنى، والرياء ومخالطة أهل الفسق

---

[1] المصدر نفسه ص636، 637.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص639.

[3] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص 640.

والفجور، وغير ذلك من المعاصي، فادفعه عنك وأهجره ولا تقبله ولا تعمل به، واقطع بأنه من الشيطان اللعين[1].

ومن تركيز الشيخ الجيلاني على أهمية التمسّك بالكتاب والسنة أن جعلهما المقياس في ربط العلاقات الشخصية بالآخرين بقوله: إذا وجدت في نفسك بغض شخص، أو حبه، فاعرضه على الكتاب والسنة، ولا تتبع الهوى، فيضلك عن سبيل الله[2].

2 . خلو طريقته من الأفكار والفلسفات التي كانت سائدة في عصره:

نتيجة ترجمة المعارف اليونانية، وتأثيرها على العقول والأفهام، حتى وقع في حبائلها كثير من المتصوفة، فاستخدموا ألفاظها ومصطلحاتها مثل الهيولى[3]، والعرض، والجوهر[4].

3 . تركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية:

وتجنب الإغراق في الأمور النظرية، والمقدمات الجدلية العقيمة، دليل ذلك ما طبقه في حياته وما ربّى عليه أتباعه، وما وضعه من أصول لطريقته، التي تعتمد على سبعة أصول هي: المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصدق، الرضا، الصبر[5]. وقد تحدثنا عن هذه الأصول بالتفصيل، في مبحث المقامات والأحوال.

---

[1] فتوح الغيب الجيلاني ص640.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص640.

[3] الهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وهو جوهر في الجسم.

[4] الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة أشياء هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل.

[5] الغنية للجيلاني (182/2).

4 . وضعه لمجموعة من الآداب والتعاليم:

التي يجب أن يتعامل بها المنتسب لطريقته، سواء مع النفس، أو مع الشيخ أو مع الناس، وقد تكلمنا عن ذلك.

5 . تأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها:

والبعد عن نواهيه، واجتنابها، والرضا بأقدار الله والاستسلام لها، يقول . رحمه الله .: لا بدَّ لكل مؤمن، في سائر أحواله، من ثلاثة أشياء: أمرٌ يمتثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي أن يلزم همها قلبه، ويحدّث بها نفسه، ويؤاخذ الجوارح بها، في سائر أحواله[1].

وقد شرح ابن تيمية كلام الشيخ عبد القادر واستحسنه بقوله: هذا كلام شريف جامع، يحتاج إليه كل أحد، وهو تفصيل لما يحتاج إليه العبد، وهي مطابقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: 90] ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾[آل عمران: 120]. ولقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[آل عمران: 186] فإن التقوى تتضمن فعل المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور، فالثلاثة ترجع إلى هذين الأصلين، والثلاثة في الحقيقة ترجع إلى امتثال الأمر، وهو طاعة الله ورسوله، وهو أن يفعل في ذلك الوقت ما أمر به في ذلك، وطاعة الله ورسوله ؛ هي عبادته التي خلق لها الجن والإنس كما قال الله

---

1 فتوح الغيب للجيلاني المقالة الأولى ص6 .

تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]. والرسل كلهم أمروا قومهم، أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36] .

وقال الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45] ثم مضى رحمه الله - في توجيه كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني، وشرح مراده من تلك العبارات[1].

هذه هي أهم الأسس التي أوصى بها الشيخ عبد القادر، وأتباعه المنتسبين لطريقته[2]. وقد أثنى ابن تيمية على الشيخ عبد القادر الجيلاني، واعتبره من ضمن أئمته فقد قال: والذي نختار قول أئمتنا.. ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني.

---

[1] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (456/10).

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص643.

الفصل التاسع : الخطوط العريضة لدعوته الإصلاحية

. بدء الدعوة وأسلوبه في ذلك:

يعُيد المؤرخون ظهور عبد القادر إلى عام 521هـ/1127م[1]. والواقع أن عبد القادر بدأ دعوته قبل ذلك، فهو يذكر أنه سبق جلوسه للوعظ فترة التهيؤ النفسي، وتشجيع الأصحاب والمحبين، وأنه بدأ مجلسه بالرجلين، والثلاثة، ثم تزاحم الناس، حتى صار مجلسه يضم سبعين ألفاً[2]، ثم تزايد الإقبال، حتى ضاقت المدرسة فخرج إلى سور بغداد بجانب رباطه، وصار الناس يجيئون إليه، ويتوب عنده الخلق الكثير[3]، ومُنذ ذلك الوقت بدأ عبد القادر دعوته، والتي تميزت بأمور منها:

1. اعتماد التعليم المنظَّم والتربية الروحية المنظمة:

كان الشيخ أبو سعيد المخرمي، قد أسس مدرسة صغيرة في باب الأزج (حي من أحياء بغداد)، فلما توفي آلت إلى تلميذه عبد القادر الجيلاني، فعمد إلى توسيعها وإعادة بنائها، كما أضيف إليها عدد من المنازل والأمكنة، التي حوله، ولقد بذل الأغنياء في عمارتها أموالاً كثيرة، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم[4]. وروى لنا المؤرخون ـ أثناء ذلك ـ صوراً من البذل والتضحية، يكشف عن مدى تعلّق الأتباع بالشيخ، من ذلك امرأة فقيرة قررت المساهمة في عمارة المدرسة، فلم تجد شيئاً. وكان زوجها من العمال فجاءت إلى الشيخ عبد

---

1 نشأة القادرية د. ماجد الكيلاني ص79.

2 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص186.

3 المنتظم (219/10).

4 المنتظم (219/10) طبقات الحنابلة (291/1).

القادر تصحب زوجها، وقالت: هذا زوجي ولي عليه من المهر قدر عشرين ديناراً ذهباً، ولقد وهبت له النصف، بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي، ثم سلّمت الشيخ خط الاتفاق، الذي وقعته مع زوجها، فكان الشيخ يشغله في المدرسة، يوماً بلا أجرة ويوماً بأجرة، لعلمه أنه فقير لا يملك شيئاً، فلما عمل بخمسة دنانير، أخرج له الخط ودفعه له، وقال له: أنت في حلٍّ من الباقي[1]. ولقد اكتمل بناء المدرسة عام 528هـ/1133م، وصارت منسوبة إلى الشيخ عبد القادر حيث جعلها مركزاً لنشاطات عديدة؛ منها التدريس، والإفتاء، والوعظ[2]، وأما تمويل المدرسة فقد أوقف الأتباع، والأغنياء عليها أوقافاً دائمة للصرف على الأساتذة والطلاب[3]. ومنه من أوقف الكتب لمكتبتها[4]، وكان لها خدم مهمتهم العناية بأمورها وخدمة الأساتذة والطلاب[5].

وكرّس الشيخ عبد القادر معظم أوقاته للمدرسة، فكان لا يخرج منها إلا يوم الجمعة إلى المسجد، أو الرباط، ولقد قام أسلوبه في التدريس والتربية على مراعاة استعدادات كل طالب، والصبر عليه، وكان يعتز بمهنة التدريس هذه ويعتبرها، أشرف منقبة وأجل مرتبة. وأن العالم محبوب من أهل الأرض، وأنه سيُميَّزُ يوم القيامة عمن سواه ويعطي درجات أسمى من غيره[6].

---

1 طبقات الحنابلة (291/1) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص186.

2 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص186.

3 شذرات الذهب نقلا عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص186.

4 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص186.

5 المصدر نفسه ص187.

6 سر الأسرار لعبد القادر الجيلاني نقلا عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص188.

لقد أمضى الشيخ عبد القادر في التدريس ثلاثاً وثلاثين سنة بدأها عام 528هـ/1133م حتى وفاته 561هـ/1166م[1]، ولا تزال المدرسة باقية إلى اليوم[2]، ولها مكتبة فيها مخطوطات شهيرة، وتعرف باسم المكتبة القادرية[3]، والواقع أن التحليل الدقيق للنظام التربوي، الذي طبقه عبد القادر، يكشف عن تأثير كبير بالمنهاج، الذي اقترحه الغزالي، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً، يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علميَّاً وروحيَّاً واجتماعياً، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك توفَّر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي في الرباط المعروف باسم الشيخ عبد القادر، حيث كانت تجري التطبيقات التربويّة، والدروس، والممارسات الصوفية، ويقيم الطلبة والمريدون[4]، وإليك تفاصيل البرنامج المذكور:

أ. الإعداد الديني والثقافي:

يتحدّد هذا الإعداد بحسب عمر الطالب، أو المريد، وحاله، فإذا كان ممن يقصدون تصحيح العبادة، كالكبار من الناس، والعامة؛ درَّسه الشيخ عقيدة أهل السنة، وفقه العبادات اللذين تضمنها كتابه (الغنية لطالبي طريق الحق) الذي صنّفه على طريقة كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي واقتفى الموضوعات نفسها، التي عالجها الغزالي في كتابه المذكور. ويضاف إلى ذلك دراسات تستهدف إعداد النابه من الدارسين، ليكون داعية بين الناس، مثل أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووسائله وأساليبه، ودراسات في

---

[1] قلائد الجواهر ص32 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص188.

[2] مدارس بغداد في العصر العباسي ص154.

[3] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص188.

[4] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص189.

المذاهب الفكرية المعاصرة، والفرق السائدة[1]، بالإضافة على التدريب على الوعظ والخطابة والتدريس[2]. وأما إذا كان الدارس طالباً من طلبة المدرسة، فإنه يتلقى إعداداً أوسع يتضمن حوالي ثلاثة عشر علماً، تشمل على التفسير، والحديث، والفقه الحنبلي، والخلاف، والأصول، والنحو، والقراءات بالإضافة إلى ما سبق ذكره، على أنه كان يستبعد علم الكلام والفلسفة وينهى عن مطالعة كتبها السائدة[3]، وكان الجمع بين الفقه والتصوف السني شرطاً أساسياً للمريدين، فقد روى ابن تيمية ـ في مجلدي التصوف وعلم السلوك ـ من الفتاوى كيفيَّة تقيد منهج عبد القادر، بالأصول الواردة في القران الكريم والسنة، والتزامه تزكية النفس في منهاجه التربوي[4].

ب ـ الإعداد الروحي:

يستهدف الإعداد الروحي تربية إرادة المتعلم، أو المريد، حتى يصبح صفاء بلا كدر، ويصير مع النبي ﷺ في عقله، ومشاعره، ومعناه، ويكون دليل قدوته[5].

ولكي يصل المتعلم إلى ذلك، عليه أن يلتزم السنة في كل شيء، وأن يتصف بصفات أساسها: المجاهدة والتحلي بأعمال أولي العزم، وقد بيَّنت تلك الصفات عند حديثي عن موقفه من العلم والعمل. وكان يرافق الممارسات العملية، التي دعا إليها الشيخ دراسات نظرية حول مقصود المجاهدات، والعبادات، التي يمارسها المريد في حياته اليومية، وبذلك أقام

---

1 الغنية (1/71-84).

2 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص435.

3 قلائد الجواهر ص3.

4 الفتاوى، علم السلوك ج10، كتاب التصوف ج11.

5 الفتح الرباني ص206 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص190.

التزكية الروحية على قاعدة فكرية، تستهدف إقناع المريد بما يمارسه فكان هناك دراسات حول الأوراد والأذكار[1]، ودراسات عن التقوى والورع، ودراسات عن أحوال النفس ومداخل الشيطان، ودراسات عن الأخلاق، التي يجب أن يكون المريد عليها ويحتوي كتابا (الغنية) (وفتوح الغيب) فصولاً مطولة، مما اعتمده الشيخ عبد القادر في ذلك[2].

ج . الإعداد الاجتماعي:

ويستهدف هذا الإعداد: توثيق العلاقات بين الأفراد، والجماعات، والقضاء، على أسباب التفكك الاجتماعي، الذي ساد المجتمع في عصره، والميدان الذي كان يتم به هذا الإعداد؛ هو المدرسة القادرية نفسها، حيث يتدرب المريد على ما يجب أن يتحلى به الفرد خارج المدرسة في المجتمع الكبير. ويشمل هذا الإعداد تنظيم حياة المريد الخاصة، وعلاقات المريدين بالقيادة المتمثلة بالشيخ؛ وعلاقاتهم ببعضهم البعض، وعلاقاتهم بالمجتمع المحيط، أما عن حياة المريد الخاصة؛ فقد حدد المنهاج القادري آدابا تنظم دقائق السلوك اليومي للفرد، كاللباس، والنوم، والدخول، والخروج، والزينة، والجلوس، والسير، والطعام، والشراب، ومعاملة الزوجة والأبناء والوالدين، والإقامة والسفر، وفي جميع هذه الآداب يسترشد بما ورد في السنة النبوية. كذلك حرص الشيخ عبد القادر أن يبتعد بالمريد عن كل ما يُنزل من مكانته الاجتماعية، كالبطالة والعيش على هبات المحسنين، وسؤال الناس، وحثه على الاشتغال بالكسب، والتجارة، مع مراعاة قواعد الأخلاق والأمانة[3].

---

[1] الغنية (86/81/2) الفتح الرباني ص85.
[2] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص192.
[3] المصدر نفسه ص193.

وأما عن تنظيم علاقة المريد والطالب بالشيخ، فقد أوجب عبد القادر على المريد طاعة الشيخ في الظاهر والباطن، وأن لا ينقطع عنه وأن يستشيره في جميع شؤونه، وفي المقابل أوجب على الشيخ أن يعامل مريديه بالحكمة والشفقة، وأن يؤدبهم ابتغاء مرضاة الله، وأن يكون لهم ملجأً وسنداً وراعياً، فإذا لم يكن في هذه المنزلة، فليترك شيخه وليعد إلى شيخ يؤدبه[1]. وحدد القاعدة التي يعتمدها المريد في صحبة الأغنياء والفقراء بما يلي:

أن تصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل.. وعليك بصحبة الفقراء والتواضع وحسن الأدب والسخاء.. وعلى المريد أن يحذر من الضعف أمام عطاء الأغنياء، أو يطمع بنولهم، لأن تملقهم من أخطر الأمور على دين المرء وعلى خلقه، شريطة أن لا يحقد عليهم، وأن يحسن الظن بهم، وأن لا يتعالى عليهم[2].

2 . الوعظ وموضوعاته:

بالرغم من اشتغال عبد القادر بالتدريس، وإعداد المربين، فإنه لم ينقطع عن مجالس الوعظ العامة، التي استهدفت إيصال دعوته إلى عامة الناس، فخصَّص لذلك ثلاثة أيام في الأسبوع: صباح الجمعة، ومساء الثلاثاء في المدرسة، وصباح الأحد في الرباط[3] ويذكر التادفي أن الحضور كانوا يدوِّنون هذه المواعظ، حتى عُدَّ في مجلسه مقدار أربعمئة محبرة[4]. وقد جُمع قسم كبير من هذه المواعظ ـ أو المجالس كما كانت تسمى ـ في كتاب يُعرف باسم (الفتح الرباني) مع تحديد تواريخها وأمكنة إلقائها، كان الشيخ عبد القادر ـ في مواعظه ـ

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص1894.
[2] الغنية (2/128-154) فتوح الغيب ص75، 167.
[3] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص195.
[4] قلائد الجوهر ص18.

شديد الحماسة للإسلام، مشفقاً لما الت إليه تعاليمه في حياة الناس، ويود لو استطاع استنفار الخلق جميعاً، لنصرة الإسلام، يقول في أحد مجالسه: دين محمد ﷺ تتواقع حيطانه، ويتناثر أساسه. هلموا يا أهل الأرض نُشيِّد ما تهدم ونقيم ما وقع. يا شمس ويا قمر ويا نهار، تعالوا[1]. ويقول في موعظة أخرى: سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق، وجعله أكبر همي. إني ناصح ولا أريد على ذلك جزاء. اخرتي قد حصلت لي عند ربي عز وجل ما أنا عبد الدنيا ولا الآخرة، ولا سوى الحق عز وجل. فرحي بفلاحكم، وغمي لهلاككم، إذا رأيت وجه مريد صادق قد أفلح على يدي شبعت وارتويت واكتسيت وفرحت، كيف خرج من تحت يدي[2]. ومن أقواله كذلك: ألا إني راعٍ لكم، ساقٍ لكم، ناطور لكم ما ترقيت ها هنا، وأرى لكم وجود الضّر والنفع، بعد ما قطعت الكل بسيف التوحيد. ألزمت هذا المقام. حمدكم وذمكم وإقبالكم وإدباركم عندي سواء كم من يذمني كثيراً ثم ينقلب ذمه حمداً كلاهما من عند الله لا منه، إقبالي عليكم لله، أخذني منكم لله، لو أمكنني دخلت مع كل منكم القبر، وجاوبت عنه منكراً ونكيراً رحمه وشفقه عليكم[3]. بهذا الحماس انطلق الشيخ عبد القادر يستنفر المسلمين إلى الالتفاف حول الإسلام، ويدعوهم إلى العودة إلى تعاليمه وحمل رسالته. وكان يرى أن صلاح دين الفرد لا يتم إلا بإصلاح القلب وفك إساره من حب الدنيا والأخلاق الذميمة، ومن كل ما يشغل عن الله، ومن هنا كثرت في مواعظه

---

[1] الفتح الرباني ص295.

[2] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص196.

[3] الفتح الرباني نقلا عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص197.

دعوة الناس إليه للتربية والتزكية[1]، وكانت مواعظه وخطبه بعضها موجّه لنقد العلماء، والحكام، والدعوة إلى إنصاف الفقراء والعامة.

أ. انتقاد العلماء:

كان الغالبية من العلماء في عهده، يتنافسون فيما بينهم على اعتلاء منابر الوعظ والخطابة في الأماكن المشهورة، ويسعون في إيذاء بعضهم بعضاً عند الخليفة والوزراء والحكَّام، ومنهم من عُرِف بسوء الخلق، ومنهم من اشتغل بالخصومات المذهبية، شاهد الشيخ عبد القادر عن كثب كل ذلك، وأمثاله، فشن حملة شديدة على هذا النوع من العلماء، واعتبرهم تجاراً يتاجرون بالدين ويساهمون في ارتكاب المحظورات. ومن مواعظه العامة في ذلك قوله: يا سلاّبين الدنيا بطريق الاخرة من أيدي أربابها. يا جهالاً بالحق؛ أنتم أحق بالتوبة من هؤلاء العوام، أنتم أحق بالاعتراف بالذنوب من هؤلاء، لا خير عندكم[2] وقال في موعظة ألقاها في المدرسة في 9 رجب 546 هـ/1151م: لو كانت عندك ثمرة العلم وبركاته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها، والعالم لا رجلين له يسعى بهما إلى أبواب الخلق، والزاهد لا يَدَيْن له يأخذ بهما أموال الناس، والمحب في الله لا عينين له ينظر بهما إلى غيره[3].

وحذَّر عامة الجماهير من حضور مواعظهم، والاستماع إلى أحاديثهم فقال: «يا عباد الله.. لا تسمعوا من هؤلاء، الذين يُفرحون نفوسكم. يذلون للملوك ويصيرون بين أيديهم كالذر لا يأمرونهم بأمر ولا ينهونهم عن نهي. إن فعلوا ذلك نفاقاً وتكلفاً، طهر الله الأرض منهم،

---

[1] المصدر نفسه ص197.

[2] المصدر نفسه ص198.

[3] المصدر نفسه ص202.

ومن كل منافق أو يتوب عليهم، ويهديهم إلى بابه، إني أغار إذا سمعت واحداً يقول: الله الله وهو يرى غيره[1].

وهاجم المتعصبين للمذاهب ومن ذلك قوله: دع عنك الكلام فيما لا يعنيك. اترك التعصب في المذاهب واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والاخرة[2]. ولم تنقطع حملات عبد القادر على العلماء والفقهاء[3] المنحرفين عن هدي المصلحين والعلماء الربانيين، وكان هجوم الشيخ عبد القادر على العلماء المنحرفين يريد به تصحيح الوضع السائد والمساهمة في تخريج جيل من العلماء الربانيين، الذين يقومون بوعظ الناس وهدايتهم وتزكيتهم ونشر التعاليم الصحيحة في أوساط الأمة، حتى يخرج جيل النصر المنشود، الذي يتحقق على يديه وعد الله بالنصر للمؤمنين. وقد حالف الشيخ عبد القادر الكثير من النجاح ـ بحمد الله ـ في تحقيق هذه المهمة.

ب ـ انتقاد الحكَّام:

خص الشيخ عبد القادر الحاكمين بانتقاده، وحذّر الناس من الانصياع لهم، بما يخالف الشريعة، يقول في أحد مجالسه: «صارت الملوك لكثير من الخلق الهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة الهة. ويحكم، جعلتم الفرع أصلاً، والمرزوق رازقاً، والملوك مالكاً، والفقير غنياً، والعاجز قوياً، والميت حياً، إذا عظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياها، ونسيت الله عز وجل ولم تعظّمه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصيّر مَنْ

---

[1] الفتح الرباني ص245 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص199.

[2] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص199.

[3] المصدر نفسه ص201.

عَظّمت صنمك[1]. وانتقد الولاة والموظفين، الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز: يقول في إحدى مواعظه: يا غلام! .. اخدم الحق عز وجل، ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين، الذي لا يضرون ولا ينفعون، إيش يعطونك؟ يعطونك ما لم يقسم لك؟ أو يقدرون أن يقسموا لك شيئاً، لم يقسمه الحق عز وجل؟ لا شيء مستأنف من عندهم، إن قلت: إنَّ عطاءهم مستأنف من عندهم كفرت[2].

ولم تتوقف انتقادات عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة، التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 541هـ/1146م ولَّى الخليفة المقتفي يحيى بن سعيد المعروف بابن المرجم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا، ومصادرة الأموال، وأخذ الرشاوي، فكتبت ضده المنشورات، وأَلصقت في المساجد والشوارع، دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الشيخ عبد القادر اغتنم وجود الخليفة في المسجد، وخاطبه من على المنبر قائلاً: ولَّيْتَ على المسلمين أظلم الظالمين، وما جوابك غداً عند رب العالمين، فعزل الخليفة القاضي المذكور[3].

ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحجاب، وتذكر المصادر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه، وصدق أغراضه، وكراماته[4]،

---

[1] المصدر نفسه ص201.

[2] المصدر نفسه ص201.

[3] مرآة الزمان (265/8) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص202.

[4] طبقات الحنابلة (292/1).

فلقد حرص عبد القادر على أن يبقى بعيداً عن مواطن الشبهات، أو التقرّب للحكام، فقد ذكر عنه أنه ما ألَمَّ بباب حاكم قط وأنه تتناوله يده[1].

ج . انتقاده للأخلاق الاجتماعية السلبية:

نظر الشيخ عبد القادر إلى المجتمع المعاصر له على أنه مجتمع: الرياء، والنفاق، والظلم، وكثرة الشبهة والحرام. وهذه صفات أحالت كل شيء فيه إلى مظاهر خاوية ولا معنى فيها[2]، يستوي في ذلك المتدينون وغيرهم.

يقول في إحدى مواعظه: هذا زمان الرياء والنفاق وأخذ الأموال بغير حق، قد كثر من يصلي ويصوم ويحج ويزكي، ويفعل أفعال الخير للخلق لا للخالق، فقد صار معظم الناس بلا خالق. كلكم موتى القلوب أحياء النفوس والأهوية طالبون الدنيا[3].

وقال في إحدى المواعظ: ملائكتكم تتعجب من وقاحتكم، تتعجب من كثرة كذبكم في أحوالكم، تتعجب من كذبكم في توحيدكم، كل حديثكم في الغلاء والرخص، وأحوال السلاطين والأغنياء، أكل فلان، واستغنى فلان، افتقر فلان، كل هذا هوس ومقت وعقوبة، توبوا واتركوا ذنوبكم وارجعوا إلى ربكم دون غيره، اذكروه وانسوا غيره[4].

د . الدعوة لإنصاف الفقراء والعامة:

ركَّز الشيخ عبد القادر على نصرة الطبقة العامة، والفقراء خاصة، فجعل الاهتمام بشؤونهم من شروط الإيمان، وشنَّ حملة شديدة على الولاة ؛ الذين يظلمونهم، وعلى الأغنياء ؛ الذين

---

[1] قلائد الجوهر ص19-30 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص203.

[2] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص203.

[3] المصدر نفسه ص203.

[4] المصدر نفسه ص203.

يخصّون أنفسهم دون إخوانهم من الفقراء، بأطيب الأطعمة، وأحسن الكسوة، وأطيب المنازل، وأحسن الوجوه، وكثرة الأموال، فأفتى بأنَّ انتسابهم للإسلام دعوى كاذبة، وذريعة لحقن دمائهم بالشهادتين[1]. ولقد جعل عدم التفرقة بين الغني والفقير من شروط تقدم المريد في مقامات التزكية، أو نجاة المسلم من عقاب الله[2]. وشدّد في وصيته المشهورة لولده عبد الرَّزاق على خدمة الفقراء، وحسن صحبتهم والتعامل معهم: حسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير وحرمة ولي. وعليك يا ولدي أن تصحب الأغنياء بالتعزز، والفقراء بالتذلل[3]. ولم يقف اهتمام الشيخ عبد القادر بالفقراء عند حد الوعظ، وإنما ترجمه لعمل واقع. فكان يفتح بابه للفقراء والغرباء، ويقدّم لهم المنام والغذاء ويحضرون الدرس ويعطيهم ما يحتاجون[4]. كان يرى هذا الأسلوب من أفضل الأعمال، فلقد نقل عنه قوله: «فتشت الأعمال كلها، فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، ولا أشرف من الخُلُق الحسن، أودُّ لو كانت الدنيا بيدي أطعمها الجائع، كفي مثقوبة لا تضبط شيئاً لو جاءني ألف دينار لم تَبت عندي»[5]. لهذا كله أقبلت العامة والفقراء على عبد القادر إقبالاً شديداً وتحمسوا له[6]. وتاب على يديه أعداد كبيرة من أهل بغداد، فقد روي عنه قوله: وتاب على يدي من العيّارين والمسالحة أكثر من مئة ألف، وهذا خير كثير[7].

---

[1] الفتح الرباني ص64، 65 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص204.

[2] المصدر نفسه ص52 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص205.

[3] الفيوضات الربانية ص35-37.

[4] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص205.

[5] المصدر نفسه ص205.

[6] المنتظم (219/10).

[7] قلائد الجواهر ص19 للتادفي.

3 . التصدي للتطرف الشيعي الباطني وللتيارات الفكرية المنحرفة:

تعرض الشيخ عبد القادر الجيلاني لعقائد الفرق الإسلامية المختلفة، ويلاحظ على مناقشته لهذه الفرق أمران:

الأوَّل: إنه لم يطمس أقوالها عن فرقة السنة، التي ينتمي إليها، من ذلك قوله أن المعتزلة تسمي السنة مجبرة لقولها: إن جميع المخلوقات بمشيئة الله وقدرته وإرادته وخلقه، وأن المرجئة تسميها شكاكية لقول واحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وكان يذكر أقوال الفرق المختلفة في السنة، ثم يرد عليها ويحذّر منها لأن السنة هم الفرقة الراشدة الناجية[1].

والثاني: أن مناقشته لفرق المعتزلة[2] والمرجئة والخوارج والقدرية والجهمية، وما انقسموا إليه من فروع، تدل على اطلاع واسع على تاريخ هذه الفرق، وعقائدها، ومقارنتها بعقائد أهل السنة[3]. وناقش عقائد الشيعة، ففصَّل في ذلك تفصيلاً واضحاً مستعرضاً تاريخ الشيعة وفرقهم، ثم ناقش عقائدهم سواء ما يتعلق بقضايا السياسية، والمجتمع، أو القضايا الاعتقادية الغيبية، وأصدر أحكاماً عليها من حيث الإسلام أو الكفر، وهو في مناقشة لعقائد الشيعة، حاول أن يتتبع أصولها فجعل لبعض هذه العقائد جذوراً يهودية من ذلك قوله: «قالت اليهود: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ال داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد علي بن أبي طالب، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل بسبب من السماء، وقالت الروافض: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج

---

[1] الغنية (84/1) نشأة القادرية ص126.

[2] نشأة القادية ص126.

[3] المصدر نفسه ص127.

المهدي، وينادي منادٍ من السماء، وتؤخر اليهود صلاة المغرب، حتى تشتبك النجوم، وكذلك الروافض يؤخرونها.. واليهود يبغضون جبريل عليه السلام، ويقولون هو عدّونا من الملائكة، ولذلك صنف من الروافض يقولون: غلط جبريل عليه السلام بالوحي إلى محمد ﷺ، وإنما بعث إلى علي رضي الله عنه [1].

وأنكر على الشيعة قولهم بعدم إمامة الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان[2]، وبين أن علياً رضي الله عنه بايعهم[3]. وكان الشيعة يقصدون مجالس الشيخ عبد القادر، وكان يناقشهم في عقائدهم[4]. ويظهر الدور الكبير الذي لعبته الحركة القادرية في مقاومة التشيّع المتطرف ـ أو التيار الفاطمي ـ الباطني، ومساهمتها الفعالة في تقويض دولة الفاطميين في مصر، والتمهيد لدخول جيوش نور الدين محمود.

وكان دور الشيخ عبد القادر الجيلاني في التصدي للشيعة الرافضة الباطنية كبيراً، ولذلك كان موقف الشيعة الرافضة من الشيخ عبد القادر عنيفاً ومليئاً بالحقد والبغض على المستوى السياسي والفكري، فقد كانت مدرسة عبد القادر وضريحه واثاره وأسرته أولى الأهداف التي تعرضت للتنكيل في كل مرة يدخل فيها أمراء الشيعة الرافضة إلى بغداد. ففي عام 914هـ/1508م احتل الشاه إسماعيل الصفوي بغداد، فخرَّب المدرسة، ونكَّل بالأسرة الكيلانية تنكيلاً شديداً وفرقهم في البلاد[5]، حتى إذا فتح السلطان سليمان

---

[1] المصدر نفسه ص128 الغنية (79/1).

[2] المصدر نفسه ص128 الغنية (68/1).

[3] المصدر نفسه ص128.

[4] القلائد ص30 للتادفي، نشأة القادرية ص128.

[5] نشأة القادرية ص129.

القانوني العثماني بغداد أعاد للمدرسة هيبتها القديمة وأمر بإصلاحها ،. وعمّر الرباط وعين لها أوقافاً كثيرة [1]، ثم توالت الإصلاحات والإضافات من قبل الولاة، أمثال الوند زاده علي باشا وسنان[2] باشا، وفي أثناء الاحتلال الإيراني الثاني 1033هـ/1623م قام صفي قولي بهدم مشهد الشيخ عبد القادر، وخرّب مدرسته، ونكّل بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام مراد الرابع العثماني بفتح بغداد عام 1048هـ/1638م وقيامه على تعمير المكان[3].

وأما موقف الكتَّاب الشيعة من الشيخ عبد القادر، فيمثله مؤرخهم الكبير ومرجعهم في السير: الخوانساري، لترجمة عبد القادر فقال: وضعته العامة العمياء في أرفع مكان، وفتحوا له في سوق التصنع والمخادعة للعوام دكاناً فوق دكان، بل جعلوا مكمن جسده كصنم من الأصنام العظام، وأن الرجل عدل عن دائرة العدل، وغفل عن قاعدة الشرع إلى ما هنالك من السباب والشتائم، وأنكر كراماته وطعن في نسبه[4].

4 . إصلاح التصوف:

أعطى الشيخ عبد القادر عناية خاصة لإصلاح التصوف، وإعادته إلى مفهوم «الزهد»، ثم توظيفه لأداء دوره في خدمة الإسلام وإصلاح المجتمع، ولقد تمثلت جهوده في هذا الميدان.

---

[1] المصدر نفسه ص129.

[2] العراق بين احتلالين للعزاوي (119/4، 33)

[3] المصدر نفسه (234/4) نشأة القادرية ص129.

[4] روضات الجنان (85/5 ت 89) نشأة القادرية ص129.

أ . تنقية التصوّف مما طرأ عليه:

من انحرافات في الفكر، والممارسة، ثم ردَّه إلى وظيفته الأصلية كمدرسة تربوية، هدفها الأساسي في غرس معاني التجرد الخالص، والزهد الصحيح. ويمثل كتاباه (الغنية لطالبي طريق الحق) و(فتوح الغيب) خلاصة أفكاره في هذا المجال. ولقد تناول الكتاب الثاني بالشرح ابن تيمية في الجزء العاشر من الفتاوى المسمى (كتاب السلوك) وقدَّمه نموذجاً للزهد، الذي حثَّ عليه القران الكريم والسنة الشريفة، ولم يكن عبد القادر في هذه المهمة يعتمد على البحث النظري أو الحديث والوعظ، وإنما طبَّقه في ميدان التربية العملية في مدرسته ورباطه[1].

ب . الحملة على المتطرفين من الصوفية:

حمل عبد القادر في مواعظه وكتبه على من تلبسوا بالتصوف أو شوّهوا معناه، لأن التصوف الصحيح صفاء وصدق لا يتحققان بتغيير الخرق، وتصفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان بحكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل[2]، والزهد في الدنيا، وإخراج الخلق من القلب، وتجردهما عمّا سوى مولاه عز وجل، كذلك انتقد ما شاع بين بعض الصوفية من سماع الألحان والرقص وبدع لا تتفق مع الكتاب والسنة، وقرّر أن المريد الصادق لا يهيّجه كلامٌ غير كلام الله، وهو في غنى

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص209.

[2] المصدر نفسه ص209.

عن الأشعار والقيان والأصوات وصراخ المدعين، وشركاء الشياطين ركَّاب الأهوية، مطايا النفوس والطباع، أتباع كل ناعق وزاعق(1).

ج ـ محاولة التنسيق بين الفرق الصوفية وإيجاد التالف بينها:

في الفترة الواقعة بين عامي 546هـ 550هـ (1151م ـ 1155م) جرت حركة تنسيق واتصالات بين الطرق الصوفية بهدف توحيد الجهود، وتنظيم التعاون، ولتحقيق هذا الهدف عقد عدد من الاجتماعات واللقاءات أدت إلى نتائج هامة على المستوى التنظيمي، والمستوى النظري، وتصدّر الشيخ عبد القادر الزعامة، وكان أوّل الاجتماعات، التي استهدفت توحيد القيادة عُقِد في رباط المدرسة القادرية الكائن في منطقة الحلة في بغداد، حيث حضر الاجتماع ما يزيد على الخمسين من شيوخ العراق وخارجه.

وكان الاجتماع الثاني خلال موسم الحج، حيث حضره شيوخ الطرق الصوفية من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حضر هذا اللقاء الشيخ عبد القادر الكيلاني من العراق، والشيخ عثمان بن مرزوق القرشي، الذي شاعت شهرته وانتهت إليه المشيخة في مصر، والشيخ أبو مدين المغربي، الذي يعود إليه نشر الزهد في المغرب(2)

في ذلك العصر، كذلك حضر الاجتماع شيوخ من اليمن، حيث أرسل معهم الشيخ عبد القادر رسولاً ينظّم أمورهم(3). وفي نفس الفترة جرت اتصالات بين الشيخ عبد القادر والشيخ رسلان الدمشقي، الذي انتهت إليه تربية المريدين ورئاسة المشايخ في الشام(4). ثم

---

1 المصدر نفسه ص209.

2 طبقات الحنابلة (306/1) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص245.

3 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص245.

4 المصدر نفسه ص245.

تلا ذلك اجتماع موسع، حضره جمع كبير من الشيوخ، الذين يمثلون مدارس الإصلاح في مختلف أقطار العالم الإسلامي، واستطاع الشيخ عبد القادر الجيلاني أن ينقل التصوف السني إلى حركة منظمة في العراق، وعلى مستوى العالم الإسلامي، ولقد ترتب على هذه اللقاءات المستمرة للمشايخ والعلماء آثار هامة منها:

. وحدة العمل لدى مدارس الإسلام عامة، فقد أصبح للزعيم الشيخ عبد القادر اجتماعات متوالية مع كبار الشيوخ، يناقشون ما تحيله إليهم المدارس، والأربطة في العالم الإسلامي من قضايا ومشكلات.

. إن المدارس والرباطات المختلفة، أخذت ترسل إلى المدرسة القادرية النابهين من طلابها والمتقدمين من مربيها الذين ترى فيهم مؤهلات المشيخة في المستقبل، كما فعل الشيخ أبو مدين المغربي، حين أرسل أحد مريديه . صالح بن ويرجات الزركالي . إلى بغداد حيث أكمل علوم الفقه وسلوك الزهد على يد الشيخ عبد القادر، لإكمال سلوك الزهد وعلوم الإرادة[1].

. إن إحكام الربط بين تعليم الفقه، وسلوك الزهد أدّى إلى خفة . بل ربما اختفاء . معارضة الفقهاء، وإلى التعاون بين الطرفين، بل صار الفقهاء يجمعون بين الفقه والزهد، ويسمون ذلك تكامل الشريعة والطريقة. وهذا الأمر جعل ابن تيمية يعتبر عبد القادر، وأقرانه من قيادة مدارس الإصلاح نماذج فريدة في الجمع بين الفقه والزهد، فأطلق عليهم اصطلاح «الشيوخ الكبار المتأخرين» ونوّه في فتاويه بمزاياهم وتجردهم، واستقامتهم [2]، ولذلك تم

---

[1] بهجة الأسرار ص107 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص247.

[2] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص247.

الاتفاق على رؤية مشتركة للعمل والتعاون على تحقيق الأهداف المتفق عليها، وتقليل مساحة القضايا المختلف فيها مع وضع الخلاف في إطاره الطبيعي.

. خروج الزهد من عزلته، التي كان فيها في حالة التصوف، وإسهامه في مواجهة التحديات التي تجابه العالم الإسلامي، فقد توثقت الصلات بين نور الدين زنكي في دمشق وبين شيوخ مدارس الإصلاح في بغداد وحرّان وجبال هكار ودمشق، ثم أعقب ذلك تداعي هذه المدارس للعمل مع نور الدين زنكي فصلاح الدين، واستمر هذا التعاون حيث أولى السلطانان عنايتهما الفائقة بمدارس الزهد ورباطاتها، وبَنَيا لها فروعاً جديدة وأوقفا عليها الأوقاف، في المقابل حملت هذه المدارس مسؤولياتها، وأخذت دورها في التوجيه المعنوي للجهاد بطريقة فعّالة ناجحة[1].

5 . النهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يرى الشيخ عبد القادر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة أساسية لبقاء المجتمع وسيادة الخير فيه، فإن تُرك تطرّق الفساد إليه. وهو واجب على كل مسلم، ولكل حسب مستواه ودوره. فالسلاطين: إنكارهم باليد والعلماء إنكارهم باللسان، والعامة إنكارهم بالقلب[2]، والعلماء هم الفئة التي تقرر ما هو معروف مباح، وما هو منكر محرم، أما السلاطين، والعامة فعملهم تنفيذ ما يقرره العلماء في هذا المجال، وللعلماء الذين يتسلمون هذه المنزلة صفات تحددهم في العلماء السالكين طريق الزهد دون سواهم، هذه الصفات هي:

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص247.
[2] الغنية (44/1، 45).

. أن يكون القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً.

. أن يكون عالماً بالمنكر الذي ينهي عنه على وجهٍ قطعي، لما في ذلك من خوف الوقوع في الظنون والإثم.

فالواجب إنكار ما ظهر وعدم بحث ما ستر ؛ لأن الله نهى عن ذلك[1].

. أن يكون قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه لا يؤدي إلى فساد عظيم وضرر في نفسه وماله وأهله[2]. وحدّد عبد القادر لأساليب الأمر بالمعروف شروطاً، وهي كما يلي:

. أن يستعمل اللين والتودد، لا الفظاظة والغلظة. وعليه أن يتحلى بالشفقة على الخلق لوقوعهم في مصايد الشيطان.

. أن يكون صبوراً، متواضعاً، زائل الهوى، قوي اليقين، حكيماً، يعرف كيف يعالج الأمور.

. أن يأمر العاصي وينهاه في خلوة، بما في ذلك من إمكانية قبول النصيحة، فإن لم ينفع استعان عليه بأهل الخير، فإن لم ينفع فبأصحاب السلطان[3].

. عدم الخوض في مسائل الاختلاف أمام من يعتقدونها، فمثلاً في مذهب الحنابلة ينكرون اللعب بالشطرنج بينما يجيزه الشافعية، فالدخول في مثل هذه القضايا يثير تصلب المخالفين من المذاهب الأخرى ويفتح باباً للجدل والخصومة، فالحكمة هنا واجبة وأدب العالم أولى من علمه[4].

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص216.

[2] المصدر نفسه ص168.

[3] نشأة القادرية ص168.

[4] نشأة القادرية ص168.

6 . مدارس النواحي والأرياف والبوادي:

تعتبر مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد من المدارس المركزية في عاصمة الدولة العباسية في عهد نور الدين زنكي، ويعتبر الشيخ عبد القادر أحد روّاد المدارس الإصلاحية، التي أثرت في حركة النهوض ومقاومة الغزاة، إلا أن هناك كانت مدارس متعددة أسهمت في دعم الدولة الزنكية والأيوبية، ومن أهمها:

أ . المدرسة العدوية:

أسس هذه المدرسة الشيخ عدي بن مسافر، الذي أدرجه ابن تيمية في قائمة (كبار الشيوخ المتأخرين) وأضاف أنه كان رجلاً صالحاً وله أتباع صالحون[1]، ونشأ عدي في قرية يقال لها بيت فار في منطقة البقاع غربي دمشق، تتلمذ على الشيخ عقيل المنيحي، ثم رحل إلى بغداد، حيث صحب الشيخ حماداً الدباس وغيره، واجتمع هناك بالشيخ عبد القادر الجيلاني وأبي الوفاء الحلواني، وأبي نجيب السهروردي، ثم ركَّز على خاصة نفسه، بأنواع المجاهدات والتهذيب زمناً طويلاً، ولذلك كان الشيخ عبد القادر يثني عليه كثيراً ويقول: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر[2]. قضى الشيخ عدي زمناً في مجاهدة «خاصة نفسه» بالتزكية، ثم عاد للمجتمع واستقر في منطقة «جبال هكار» في شمال العراق بين قبائل الأكراد الهكارية، حيث بنى له مدرسة وأقبل عليه سكان تلك النواحي إقبالاً هائلاً، لما رأوا من زهده وصلاحه وإخلاصه في إرشاد الناس[37]، ويصف ابن خلكان أثر الشيخ عدي في مجتمع الأكراد الهكارية فيقول: سار ذكره في الافاق، وتبعه

---

[1] فتاوى ابن تيمية، كتاب التصوف (103/11).

[2] النجوم الزاهرة (362/5).

[3] فتاوى الأعيان (254/3) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص225.

خلق كثير، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد[1]. ويذكر الذهبي أن من الاثار التي أحدثها الشيخ عدي بين الأكراد الهكارية انتشار الأمن في تلك المنطقة وارتداع مفسدي الأكراد وتوبتهم، حتى صار لا يخاف أحد في تلك المنطقة الجبلية، التي لم تكن امنة قبل ذلك، وأنه انتفع به خلق كثير وانتشر ذكره.

لقد وصف الحافظ عبد القادر الرهاوي شخصية الشيخ عدي ومكانته فقال: ساح سنين كثيرة وصحب المشايخ، وجاهد أنواعاً من المجاهدات، ثم سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أُنُسٌ، ثم أَنِسَ بتلك المواضع، وعمرها ببركاته، حتى صار لا يخاف أحد بها بعد قطع السبل، وارتدع جماعة من مفسدي الأكراد ببركاته وعمّر حتى انتفع به خلق، وانتشر ذكره، وكان معلماً للخير، ناصحاً متشرعاً، شديداً في الله، لا تأخذه في الله لومة لائم. عاش قريباً من ثمانين سنة، ما بلغنا أنه باع شيئاً ولا اشترى ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا، كانت له غليلة يزرعها بالقدوم من الجبل ويحصدها ويتقوت، وكان يزرع القطن ويكتسي منه، ولا يأكل من مال أحد شيئاً، وكانت له أوقات لا يُرى فيها محافظة على أوراده، وقد طفت معه أياماً في سواد الموصل، فكان يصلي معنا العشاء ثم لا نراه إلى الصبح.

ورأيته إذا أقبل إلى قرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين رجالهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم، ولقد أتينا معه على دير رهبان فتلقانا منهم راهبان، فكشفا رأسيهما وقبّلا رجليه وقالا: ادعُ فما نحن إلا في بركاتك، وأخرجا طبقاً فيه خبز وعسل فأكل الجماعة، وخرجت إلى زيارة الشيخ أول مرة، فأخذ يجادلنا ويسأل الجماعة ويؤانسهم.. وكان

---

[1] المصدر نفسه.

يواصل الصوم الأيام الكثيرة على ما اشتهر عنه، حتى إن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئاً قط، فلما بلغه ذلك أخذ شيئاً وأكله بحضرة الناس.

واشتهر عنه الرياضات والسير والكرامات والانتفاع به ما لو كان في القديم لكان أحدوثة. ورأيته قد جاء إلى الموصل فخرج إليه السلطان وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام، حتى آذوه مما يقبّلون يده، فأجلس في موضع بينه وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحد إلا رؤية، فكانوا يسلمون عليه وينصرفون ثم رجع إلى زاويته[1]. قال عنه الذهبي: الشيخ الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته[2]. وقد ظهرت الاثار العلمية والعملية لدرس عدي بن مسافر في الدور الكبير، الذي لعبه أكراد جبل هكار ـ فيما بعد ـ في جيش صلاح الدين، حيث شكّلوا أهم فرقة، واحتل عدد منهم منزلة الأمراء والقادة الذين حققوا الانتصارات وأنجزوا الفتوح[3]. توفي الشيخ عدي بن مسافر في بلدة الهكارية ودفن بها عام 557هـ[4].

ب ـ مدرسة عثمان بن مرزوق القرشي:

أسس هذه المدرسة الشيخ عثمان في «مصر» وكان يعُتبر من أعيان المشايخ، الذين جمعوا بين الشريعة والزهد. كان حنبلي المذهب، وكانت له علاقات مع الشيخ عبد القادر الكيلاني. لقد لعب ـ فيما بعد ـ دوراً هاماً في تمهيد الأجواء لحملات نور الدين على مصر.

---

1 سير أعلام النبلاء (343/20، 342).

2 سير أعلام النبلاء (342/20).

3 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص256.

4 قلائد الجواهر ص 85 – 90.

استمر الشيخ عثمان في عمله بالقاهرة حتى وفاته عام 564هـ عن عمر يناهز السبعين، ودفن بجانب قبر الشافعي[1].

ج . مدرسة أبي مدين المغربي:

اشتهرت هذه المدرسة في «المغرب» وعرفت باسم الشيخ أبي مدين شعيب بن حسين الأندلسي، الذي نشأ في منطقة إشبيلية في الأندلس ودرس فيها على مذهب الإمام مالك بن أنس، ثم سلك طريق الزهد وجال في المغرب واستوطن مدة في مدينة (بجاية) إلى أن استقر به الطواف في مدين «تلمسان»، وبدأ في الإرشاد والتدريس ؛ حيث تخرج على يديه الكثير من شيوخ المغرب وزهادها[2]. ويصف الذهبي الشيخ أبا مدين بأنه كان من أهل العمل والاجتهاد والانقطاع للعبادة والنسك والتربية[3]. كذلك اعتبره ابن تيمية من كبار الشيوخ المتأخرين، الذين كانوا على طريقة صالحة ومنهج مستقيم[4]. واستمر أبو مدين مواظباً على التدريس والعبادة، حتى وافاه الأجل عام 590هـ وكان اخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت نفسه[5].

---

1 المصدر نفسه ص113 – 114.

2 المصدر نفسه ص108، 109 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص237.

3 سير أعلام النبلاء (219/21، 220).

4 فتاوى ابن تيمية، كتاب التصوف (604/11).

5 سير أعلام النبلاء (220/21).

د. مدرسة أبي السعود الحَريمي:

درس في المدرسة القادرية وتربّى على الشيخ عبد القادر، وصار المشار إليه بعده، وصار له القبول التام عند الخاص والعام، وأسس مدرسة خاصة به، ونجح نجاحاً قوياً بين جماهير الفقراء، وفتح لهم بابه[1].

هـ – مدرسة ابن مكارم النعال:

تُنسب هذه المدرسة إلى محمود بن عثمان بن مكارم النعال البغدادي، الذي كان يُشرف على رباط الوافدين من خارج بغداد والعراق إلى المدرسة القادرية، ثم استقل بعد وفاة عبد القادر، وصار يخرج بأصحابه لينكروا المنكر، ويريقوا الخمور، ويتعرضوا للأذى في سبيل ذلك[2].

و. مدرسة عمر البزاز:

تنسب هذه المدرسة إلى عمر بن مسعود البزاز، الذي وُصِف بأنه من أعيان أصحاب عبد القادر. شاع ذكره وأقبل عليه الأتباع، وتاب على يده خلق كثير من مماليك الخليفة، ويذكر ابن النجار أنه كان يحضر مجالسه[3].

ز. مدرسة الجبائي:

أسسها عبد الله الجبائي، الذي كان في الأصل مسيحياً من قرية «جبة» في جبل لبنان، سُبي وهو فتى ثم نُقل إلى دمشق، حيث أسلم هناك، فاشتراه علي بن إبراهيم بن نجا، أحد

---

1 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص237.

2 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص237.

3 نشأة القادرية ص194 – 212.

أصحاب عبد القادر، فأعتقه، ثم أرسله إلى بغداد عام 1145/540م حيث لازم الشيخ عبد القادر، وصحب ابن قدامة في الدراسة، وتدل أخباره أن الشيخ عبد القادر كان يرعاه ويوده. نال الجبائي منزلة عالية في بغداد، وظل يعمل مع الشيخ حتى وفاته، فرحل إلى أصبهان حيث درس وأفتى، حتى وفاته عام 605هـ/1208م عن أربع وثمانين سنة[1].

ح ـ مدرسة الشيخ ماجد الكردي:

أسس هذه المدرسة ماجد الكردي في منطقة «قوسان» في العراق وكان قد اشتهر أمره في تلك المنطقة، وقصده المريدون والأتباع من مختلف أرجائها. وكان على علاقة وطيدة بالشيخ عبد القادر، الذي كان يجله ويثني عليه، ولقد استمر في عمله حتى وفاته عام 562هـ[2].

ط ـ مدرسة حياة بن قيس الحرَّاني:

الشيخ القدوة الزاهد العابد، شيخ حرّان، وزاهدها. حياة بن قيس بن رَجَّال بن سلطان الأنصاري الحراني، صاحب أحوال وكرامات وإخلاص وتعفف وانقباض، كان الملوك يزورونه، ويتبرّكون بلقائه، وكان كلمة وفاق بين أهل بلدة، وقيل: إن السلطان نور الدين زاره، فقوى عزمه على جهاد الفرنج، ودعا له، وإن السلطان صلاح الدين زاره وطلب منه الدعاء[3]. وقد تخرَّج على يد الشيخ حياة الجم الغفير من الأتباع والمشايخ، الذين استأنفوا منهجه في الدعوة والإصلاح، وانتمى إليه أعداد عظيمة من الناس، وأشار إليه

---

[1] ذيل طبقات الحنابلة (2/45 - 47).

[2] قلائد الجوهر ص107.

[3] سير أعلام النبلاء (21/181 - 182).

العلماء بالاحترام والتقدير. وكان أهل حرَّان وما حوله يجلّونه ويقصدونه بالزيارة وطلب الدعاء للاستسقاء. لقد استمر في عمله حتى وفاته في حران نفسها عام 581[1].

وقد ذكر الدكتور ماجد عرسان الكيلاني مدارس أخرى كمدرسة الشيخ رسلان الجعبري، ومدرسة عقيل المنيحي، ومدرسة الشيخ علي بن الهيتي، ومدرسة الحسن بن مسلم، ومدرسة الجوسقي، ومدرسة الشيخ الطفسونجي، ومدرسة مولى الزولي، ومدرسة محمد بن عبد البصري، ومدرسة القيلوي، ومدرسة علي بن وهب الربيعي، ومدرسة الشيخ بقا بن بطو[2].

ومما يكمل الصورة للمدارس، التي تناولها البحث في مدارس النواحي والأرياف والبوادي أن تقول: إنها كانت تطبق منهاجاً موحداً في التربية والتدريس، يتطابق إلى حد كبير مع التعاليم والمبادئ، التي دعا لهما الغزالي والجيلاني، وأنها كانت امتدادات أصغر في الأرياف والجبال والبوادي بحيث يمكن القول: إنها بلغت المئات، لأن الأمر لم يتطلب أكثر من استقرار أحد الخريجين في مسجد من مساجد الريف مثلاً، في رباط أو زاوية وتكريس الوقت للتدريس وسلوك الزهد[3].

7 . التعاون بين المدارس الإصلاحية والدولة الزنكية:

تدل الأخبار المتعلقة بالمدارس الإصلاحية، وخصوصاً مدرسة الشيخ عبد القادر أنها لعبت دوراً رئيساً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية[4]. وتدل الإشارات والشواهد التاريخية على أن الطلاب الشاميين كانوا يشكلون مجموعة كبيرة بين الطلاب،

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص230.

[2] المصدر نفسه ص224 إلى 238.

[3] المصدر نفسه ص238.

[4] المصدر نفسه ص187.

الذين يفدون من خارج العراق للدراسة في مدرسة الشيخ عبد القادر، كذلك كانت الشام منطقة جذب لرجالات الدين والمتحمسين لنصرة الإسلام وجهاد الأعداء، وتبدو مظاهر التعاون بين مدارس الإصلاح والدولة الزنكية في الآتي:

أ. الإسهام في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي:

قامت المدرسة القادرية بدور هام في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي، فكانت تستقدمهم وتوفر لهم الإقامة والتعليم، ثم تعيدهم إلى مناطق الثغور والمرابطة. ولقد كان هؤلاء الطلاب يعرفون «باسم المقادسة» نسبة إلى مدينة القدس أو بيت المقدس. وكان من بين هؤلاء الطلاب بعضهم الذي اشتهر فيما بعد في ميدان الفقه والسياسة، ويمكن القول أن إرسال هذه البعوث الطلابية إلى بغداد كان سببه أمران:

الأول: حاجة الدولة الزنكية إلى نمط معين من القيادات والموظفين والإداريين.

والثاني: ما اشتهرت به مدرسة عبد القادر آنذاك من تجسيد لسياسات الإصلاح، ولا بدّ أن إقرار إرسال هذه البعوث نتج عن دراسة ومشورة[1]، فقد توثقت الصلات بين الشيخ عبد القادر ونور الدين، فكان نور الدين يرسل أبناء المقادسة النازحين من القدس إلى بغداد، ليدرسوا في مدرسة الشيخ عبد القادر، ثم يعودوا إلى مناطق الثغور قادة ودعاة ومرشدين، كما كان نور الدين يستقدم مشاهير العلماء، الذين تخرّجوا من المدرسة القادرية[2].

---

[1] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص275.

[2] الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة ص275.

وكانت المدرسة القادرية، والقيادة الزنكية تُعِدُّ أبناء النازحين لقيادة حركة الجهاد، بدل أن تأتي عليهم حياة التشرد والضياع، أو أن يجدوا طريقهم إلى المدارس العادية التي كانت تُعِدُّ الطلاب للوظائف والمصالح الشخصية. ويذكر سبط ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان» أن والد موفق الدين بن قدامة، حين نزح من بلاده إلى دمشق كان يقوم بنشاط دائب لحشد الطاقات في مواجهة الاحتلال الصليبي، وأن داره في دمشق كانت ملتقى القيادات الفكرية والسياسية، وأن نور الدين زنكي نفسه كان يداوم على حضور هذه اللقاءات[1].

ب . هجرة العلماء والعمل في المدارس النورية:

تداعى العلماء وخريجو المدارس الإصلاحية من كل قطر، للعمل في المدارس، التي أنشأها نور الدين وصلاح الدين. ومن ذلك ما قام به خريجو المدرسة القادرية، حيث كان على رأس المهاجرين إلى هناك موسى بن الشيخ عبد القادر، الذي قدم إلى دمشق واشتغل بالتدريس حتى وفاته عام 618هـ/1221م[2]. كذلك بنى نور الدين مدرسة في حران وأسلمها إلى أسعد بن المنجا بن بركات المتوفي (606هـ/1209م) والذي درس على الشيخ عبد القادر ثم عاد إلى الشام، كذلك أسند نور الدين إليه التدريس في المدرسة المسمارية، وأسند إليه القضاء[3]، ولقد استمرت ذريته تتناوب التدريس في مدرسته فيما بعد[4]، كذلك بنى نور الدين مدرسة أخرى في حرّان أسلمها إلى حامد بن محمود (المتوفى

---

1 مرآة الزمان (8/313، 314).
2 شذرات الذهب (5/199) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص276.
3 العبر (5/17) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص277.
4 الدارس في أخبار المدارس (2/115)

عام 570هـ/1174م) الذي لازم الشيخ عبد القادر ودرس عليه، وكان نور الدين يقبل عليه وله فيه حسن ظن[1].

ج. المشاركة في الجيش والجهاد العسكري:

وأبرز المدارس التي رفدت هذا الميدان هي المدرسة العدوية وفروعها، التي أسسها الشيخ عدي بن مسافر في جبال هكار، فقد شكل خريجو هذه المدارس من الأكراد الهكارية والروادية، جمهرة أمراء الجيش وقادة الفتح وجنوده، ويأتي على رأس هذه الجماعات أسرة صلاح الدين الأيوبي، وهي من الأكراد الروادية، وأصلهم من بلدة «دوين» من أعمال أذربيجان والروادية قبيلة كبيرة.

ولقد وُلد أيوب والد صلاح الدين في البلدة المذكورة، ومنها خرج والده شاذي مع ولديه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه إلى بغداد، ومن هناك نزلوا تكريت حيث مات الوالد شاذي، وولد الحفيد صلاح الدين، ثم لم يلبث الأخوان أن رحلا والتحقا بخدمة عماد الدين زنكي[2]، وأما الأكراد الهكارية فقد شكّلوا فيما بعد، أمراء جيش صلاح الدين، وقادته، ومن أشهرهم الأمير سيف الدين المشطوب الهكاري، الذي لم يكن في أمراء الدولة أحد يضاهيه في المنزلة، وكانوا يسمونه الأمير الكبير توفي في القدس عام 588هـ وقد وصف القاضي الفاضل موته بأنه: تهدم به بنيان قوم والدهر قاض ما عليه لوم[3]، ويأتي تفصيل ذلك عند حديثنا عن الدولة الأيوبية بإذن الله تعالى.

---

[1] طبقات الحنابلة نقلا عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص277.

[2] وفيات الأعيان (7/139- 143).

[3] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص279.

د . المشاركة في ميادين السياسة:

اشتغل نفرٌ من تلاميذ المدرسة القادرية، مع نور الدين ثم صلاح الدين في السياسية، ولعب بعضهم أدواراً في غاية الخطورة، ومن الأمثلة على ذلك أسعد بن المنجا بن بركات، فقد أشار ابن رجب إلى أنه بالإضافة إلى عمله في التدريس والقضاء كان له اتصال بالملوك وخدمة السلاطين[1]. وكذلك علي بن برداون بن زيد الكندي، الذي حظي عند السلطان نور الدين[2]، ويشابههما حامد بن محمود الحراني، الذي صحب عبد القادر ودرس عليه، وعندما انتهى من الدراسة ذهب إلى دمشق، حيث اتصل بنور الدين فولّاه التدريس والقضاء والمظالم في حران، ويذكر ابن رجب أنه رحل إلى بغداد ونزل بمدرسة الشيخ عبد القادر، وجاء إلى دمشق في حوائج إلى نور الدين[3]، وكذلك زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ الأنصاري الدمشقي، الذي وصف لقاءه بالشيخ عبد القادر فقال: فاشتغلت عليه بالعلم، ففتح الله عز وجل علي في سنة بما لم يفتح على غيري في عشرين سنة وتكلمت ببغداد[4]. ولقد قدر لابن نجا هذا أن يكون من رجال صلاح الدين، ومستشاريه وقد أرسله الشيخ عبد القادر الجيلاني للشيخ عثمان بن مرزوق القرشي قائد المعارضة السنية بمصر وشيخ المدرسة الإصلاحية في مصر، وقد قام ابن نجا بدور خطير وهام في زحف جيش نور الدين إلى مصر انتهى بفتحها وتوحيدها مع الشام، فلو تتبعنا مسيرة ابن نجا هذا بعد أن استأذن عبد القادر بالرحيل إلى مصر، لوجدناه يتوجه إلى دمشق، ويستقر

---

[1] طبقات الحنابلة (49/2) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص279.

[2] هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص280.

[3] المصدر نفسه ص280.

[4] قلائد الجواهر ص33.

بها مدة ليست قصيرة، حيث اشتغل بالوعظ والتدريس، ثم وفد إلى بغداد عام 564هـ/1168م رسولاً لنور الدين، حيث خلع عليه الخليفة، وبعد ذلك مباشرة يدخل مصر ويتصل بالخلافة الفاطمية، وينال الحظوة عند حكّام الدولة الفاطمية[1].

ويذكر ابن رجب أن ابن نجا الواعظ، زار الشيخ عثمان بن مرزوق القرشي المتحمس لعبد القادر، وسأله عن إمكانية قدوم أسد الدين شيركوه إلى مصر. فكان جواب الشيخ هو المشورة بالانتظار مدة، وكل محاولة سريعة لا بد أن تفشل» فجرى الأمر كما ذكر[2].

وكان الشيخ عثمان يرى أن يسبق غزو شيركوه لمصر مزيد من تهيئة الأجواء العامة، لاستقباله بما يشيعه زعماء التصوف السني والوعاظ عن الخير الذي سيصحب قدومه، وأما عن خطوة ابن نجا في بلاط الفاطميين، فكانت من ضمن الخطة التي استهدفت اختراق البلاط الفاطمي، لمعرفة مواطن الضعف، والقوة عندهم، ودعم التعبئة الفكرية، التي كان يقودها أمثال الشيخ عثمان بن مرزوق، لأن ابن نجا قام بنفس الدور الاستطلاعي في مناسبة تالية[3]، وتبدو أهمية الدور الذي لعبه زين الدين بن نجا في كشفه لمؤامرة الفاطميين ضد صلاح الدين عام 569هـ /1173م وسيأتي الحديث عنها بإذن الله عند بيان فقه نور الدين زنكي، في سقوط الدولة الفاطمية.

---

1 مرآة الزمان (515/8) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص281.

2 طبقات الحنابلة (308/1) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص281.

3 هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص282.

8- صفاته ووفاته:

وصف موفق الدين بن قدامة المقدسي الشيخ عبد القادر فقال: كان الشيخ عبد القادر نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية وطويلها، أسمر مقرون الحاجبين، أدعج العينين، ذا صوت جهوري وسمت وقدر[1]، وكان وافر النشاط، دائم الحركة يُرى في الشتاء وكأنه في الصيف يتصبب العرق من جسده[2]، وكان يلبس هيئة مخصوصة ويتطليس، ويركب البغلة وترفع الغاشية بين يديه[3]، وقد أطنب المؤرخون الذين ترجموا لعبد القادر في وصف أخلاقه، فذكروا أن سكوته كان أكثر من كلامه، فإذا تكلم كان كلامه على الخواطر، وكان دائم البشر شديد الحياء، لين الجانب، وكان له عناية بالفقراء والمساكين، فقد كان يجالس الفقراء ويفلّي لهم ثيابهم، ويقف مع الصغير ولكنه يحرص على أن لا يقوم لأحد من العظماء وأعيان الدولة، وكان لا يرد سائلا وكان يكرم جليسه، بحيث لا يظن أن أحدا أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب من أصحابه، ويسأل عن شأنهم، ويحفظ ودَّهم، ويعفو عن سيئاتهم، ويصدِّق من حلف له، ويخفي علمه فيه، وكان يأمر بكل ليلة بمد السماط، ويأكل مع الأضياف والفقراء، وكان إذا أهديت له هدية فرَّقها أو بعضها على من حضر ويكافئ عليها مهديها[4]، مع أنه لم يكن يخرج من مدرسته إلا للمسجد أو الرباط، فقد كان سريع الذهاب لمشاركة الناس أحزانهم، فلو راجعنا ما كتبه ابن الجوزي، وابن رجب، وسبط ابن الجوزي، وابن خلكان، والذهبي، وابن العماد الحنبلي، لوجدنا

---

[1] مرآة الجنان لليافعي (352/3).

[2] طبقات الحنابلة (299/1).

[3] عوارف المعارف ص356 نشأة القادرية ص131.

[4] نشأة القادرية ص132.

الكثير من المتوفين المشهورين من العلماء وأرباب الخير يقال عن واحدهم صلى عليه الشيخ عبد القادر»[1]. وكان كثير الإقبال على الطاعة، والخضوع إلى الله، وكان كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة[2]، وكان له حنطة مرباة من الحلال بيد بعض أصحابه من الرستاق، يزرعها له كل سنة، وكان بعض أصحابه يطحنها، ويخبز له منها ويكون غذاؤه[3] منها، وكان لا يمس الذهب بيده فإذا جاء أحد بذهب قال له: ضعه تحت السجادة، فإذا جاء خادمه قال له: خذ ما تحت السجادة وأعطه الخباز والبقال[4].

. وفاته:

أجمع المؤرخون على أن الشيخ عبد القادر الجيلاني . رحمه الله . قد توفي عام 561هـ[5]، وقد عاش عبد القادر إحدى وتسعين سنة[6] وقيل: «إنه لم يمرض في حياته مرضاً شديداً، سوى مرض موته، الذي دام يوماً وليلة فقط»[7]. وقد سأله ابنه عن مرضه فقال له: لا يسألني أحد عن شيء، أنا أتقلّب في علم الله عز وجل، إن مرضي لا يعلمه أحد، ولا يعقله أحد، وسأله ابنه الشيخ عبد الجبار ماذا يؤلمك من جسمك؟ فقال رحمه الله: جميع أعضائي إلا قلبي فما به ألم، وهو مع الله عز وجل وكان يقول رحمه الله تعالى: أنا لا أخاف من أي إنسان، أنا لا أخاف من الموت، ولا من ملك الموت. وكان يرفع يديه ويمدهما وهو

---

[1] المنتظم (85/10، 122) نشأة القادرية ص132.

[2] طبقات الحنابلة (292/1) نشأة القادرية ص133.

[3] نشأة القادرية ص133.

[4] بهجة الأسرار ص104 نشأة القادرية ص133.

[5] الشيخ عبد القادر الجيلاني ص265 للكيلاني.

[6] نشأة القادرية ص123.

[7] الشيخ عبد القادر الجيلاني لعبد الرزاق الكيلاني ص265.

يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم أتاه الحق وسكرة الموت فجعل يردد: استعنت بلا إله إلا الله، سبحانه مَنْ تعزَّز بالقدرة، وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد تعذر عليه التلفظ بكلمة: تعزز فظل يرددها حتى تلفظ بها، ثم أخذ يردد: الله، الله، الله، حتى خفي صوته، ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة . رحمه الله .[1].

وقبل وفاته سأله ابنه عبد الوهاب الوصية فقال له: عليك بتقوى الله عز وجل، وطاعته ولا تخف أحداً سوى الله، ولا ترجُ أحداً، سوى الله، وَكِلِ الحوائج كلها إلى الله عز وجل، واطلبها جميعها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه، وعليك بالتوحيد، جماع الأمر كله، التوحيد. ثم قال: مرّوا بأخبار الصفات على ما جاءت، الحكم يتغير، والعلم لا يتغير، الحكم ينسخ والعلم لا ينسخ[2].

وقد تمّ دفنه ليلاً في مدرسته، ولم يتمكن أهله من أصحابه من دفنه في النهار من كثرة الزحام، إذ خرج أهل بغداد وامتلأت الحلبة والأسواق والدروب، وقد ولد له تسع وأربعون ولداً، سبعة وعشرون ذكراً، والباقي إناثاً، وتزوج أربع زوجات، وفيما يتعلق بزواجه، قال الشيخ عبد القادر: كنت أريد الزوجة مدة من الزمان، ولا أتجرأ على التزوج، خوفاً من تكدير الوقت، فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله، ساق الله تعالى إليّ أربع زوجات، ما منهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة[3].

---

[1] المصدر نفسه ص266.

[2] الفتح الرباني ص373، فتوح الغيب ص 130.

[3] قلائد الجواهر ص41 أي أنهن بنات أغنياء أو يعرفن صنعة من الصنعات.

ومن أقواله: الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك[1].

وقال عنه الذهبي: ليس من كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثيراً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة[2].

وقال عنه ابن كثير: وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وله سمت حسن، وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه زهد كبير، وله أحوال ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنَّف كتاب «الغنية» «وفتوح الغيب» وفيها أشياء حسنة، ولكن ذكر فيهما أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ الكبار، قدّس الله روحه ونوّر ضريحه[3].

---

[1] سير أعلام النبلاء (450/20).

[2] المصدر نفسه (450/2).

[3] البداية والنهاية (420/16).

الخلاصة

1 . من الملاحظات المهمة في دراستي لفترة الحروب الصليبية أن انتصارات نور الدين وصلاح الدين أسهمت فيها عوامل متعددة منها على مستوى الخلافة نفسها ومنها على المستوى الشعبي، فقد أخذت مؤسسة الخلافة تسترجع صلاحياتها وتقوى على ما كانت عليه في العهد السلجوقي، وكذلك مؤسسة الوزارة العباسية خصوصاً في عهد يحيى بن هبيرة، كما كان لعبد القادر الجيلاني جهود معتبرة في الدعوة الشعبية والإصلاح العام، فقد كانت حركته الشعبية معاصرة لعماد الدين ونور الدين وتعتبر حركة عبد القادر الجيلاني من الروافد المهمة في حركة الجهاد والمقاومة التي قادها نور الدين وخصوصاً في القطاع الشعبي العريض وفي عاصمة الخلافة العباسية بغداد، فقد استطاع التأثير في المجتمع بدعوته ومواعظه وتزكيته.

2 . استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود وتراث الغزالي وحول تلك التعاليم إلى مناهج مبسطة يفهمها العامّة وطلاب العلم والعلماء، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهجاً متكاملاً يهدف إلى إعداد الطلبة والمريدين علمياً

وروحياً واجتماعياً، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد توافر لهذا المنهاج فرص التطبيق العلمي في الرباط المعروف باسم الشيخ عبد القادر حيث كانت تجري التطبيقات التربوية والدروس والممارسات العملية ويقيم الطلبة المريدون.

3 . بيَّن الشيخ عبد القادر الجيلاني عقيدته بوضوح وكان كثيراً ما يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة، وكان يعرض العقيدة بأسلوب بليغ سهل العبارة.

4 . تنتسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يعتبر المؤسس الأول لها خصوصاً بشكلها الجماعي والمنظم القائم على جمع المريدين وربطهم بمشايخ الطريقة لتأديبهم وتربيتهم حيث كان التصوف في السابق يقوم على أساس فردي لا أثر للتجمع فيه، ولم يظهر في شكل منظم تحت طريقة واحدة إلا في عهد الشيخ عبد القادر الجيلاني والمتتبع لظهور الطرق الأخرى يرى أنها جميعها إنما ظهرت بعد الشيخ عبد القادر الجيلاني.

5 . أكد الشيخ عبد القادر في وصاياه وتوجيهاته، على أهمية التمسك بالكتاب والسنة، والتركيز على الاهتمام بالجوانب العملية والابتعاد عن الأفكار والفلسفات السائدة في عصره، وتأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها.

6 . اعتمد الشيخ عبد القادر في حركته الإصلاحية التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة، واهتم بالإعداد الديني، والثقافي، والروحي، والاجتماعي، وركز على الوعظ وانتقد علماء السوء، والحكام الظلمة، وانتقد في وعظه ومجالسه الأخلاق الاجتماعية السلبية، ودعا إلى إنصاف الفقراء والعامة، وتصدى للتطرف الشيعي الرافضي وللتيارات الفكرية المنحرفة، وبذل جهداً في إصلاح التصوف وإعادته إلى مفهوم الزهد وتنقيته مما طرأ عليه، وقام بحركة واسعة للتنسيق بين الطرق الصوفية بهدف توحيد الجهود وتنظيم التعاون، ونجح إلى حد كبير. وعُقد أول الاجتماعات التي استهدفت توحيد القيادة في رباط المدرسة القادرية الكائن في منطقة الحلة في بغداد حيث حضر الاجتماع ما يزيد على الخمسين من شيوخ العراق وخارجه، وكان الاجتماع الثاني في موسم الحج حيث حضره شيوخ الطرق الصوفية من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حضر هذا اللقاء الشيخ عبد القادر الجيلاني من العراق، والشيخ عثمان بن مرزوق القرشي الذي شاعت شهرته وانتهت إليه المشيخة في مصر، والشيخ أبو مدين المغربي الذي يعود إليه نشر الزهد في المغرب في ذلك العصر، كذلك حضر الاجتماع شيوخ من اليمن حيث أرسل معهم الشيخ عبد القادر رسولاً ينظم أمورهم.

وفي نفس الوقت جرت اتصالات بين الشيخ عبد القادر والشيخ أرسلان الدمشقي الذي انتهت إليه تربية المريدين ورئاسة المشايخ في الشام، ثم تلا ذلك اجتماع موسع حضره جمع كبير من الشيوخ يمثلون مدارس الإصلاح في مختلف أقطار العالم الإسلامي، واستطاع الشيخ عبد القادر الجيلاني أن ينقل التصوف السني إلى حركة منظمة في العراق وعلى مستوى العالم الإسلامي، ولقد ترتب على هذه اللقاءات المستمرة للمشايخ والعلماء آثار مهمة أسهمت في نهضة الأمة وتوسيع جبهة المقاومة ضد الصليبيين.

7 . تدل الأخبار المتعلقة بالمدارس الإصلاحية وخصوصاً مدرسة الشيخ عبد القادر أنها لعبت دوراً رئيسياً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية، وتدل الشواهد التاريخية على أن الطلاب الشاميين كانوا يشكلون مجموعة كبيرة بين الطلاب الذين يفدون من خارج العراق للدراسة في مدرسة عبد القادر، وقد قامت المدرسة القادرية بدور مهم في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي، فكانت تستقدمهم وتوفر لهم الإقامة والتعليم، ثم تعيدهم إلى مناطق الثغور والمرابطة، ولقد كان هؤلاء الطلاب يعرفون باسم المقادسة، نسبة إلى مدينة القدس، أو بيت المقدس ويمكن القول أن إرسال هذه البعوث الطلابية إلى بغداد كان سببه أمرين: الأول: حاجة الدولة الزنكية إلى نمط معين من القيادات والموظفين والإداريين. والثاني: ما اشتهرت به مدرسة عبد القادر آنذاك من تجسيد لسياسات الإصلاح، ولا بد أن إقرار إرسال هذه البعوث نتج عن دراسة ومشورة، فقد توثقت الصلات بين الشيخ عبد القادر ونور الدين، فكان نور الدين يرسل أبناء المقادسة النازحين من القدس إلى بغداد ليدرسوا في مدرسة الشيخ عبد القادر ثم يعودوا إلى مناطق الثغور قادة ودعاة ومرشدين، كما كان نور الدين يستقدم مشاهير العلماء الذين تخرجوا من المدرسة القادرية، وهاجر بعض العلماء الذين تخرجوا من المدرسة القادرية إلى دولة نور الدين

زنكي وشاركوا في الجهاد العسكري وميادين السياسة، ومن أشهر هؤلاء زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ الأنصاري الدمشقي الذي أصبح فيما بعد رجال صلاح الدين وكبار مستشاريه.

8 . عاصر نور الدين محمود انتعاش مؤسسة الخلافة العباسية إبان المقتفي لأمر الله 530 هـ 555 هـ، والمستنجد بالله 555 هـ 566 هـ، والمستضيء بالله 566 . 575 هـ وقد اتسم حكمهم بالحرص الشديد على استعادة التوازن السياسي مع السلاجقة في العراق وإيران على نحو خاص، ومن بعد ذلك جميع البقاع الإسلامية الأخرى، وقد ساعد على تمتع الخلافة العباسية بالنفوذ في هذه المرحلة وجود الوزير الصالح العالم الرباني عون الدين بن هبيرة، وتعتبر قوة مؤسسة الخلافة وانتزاع صلاحياتها من السلاجقة في هذه الفترة من أسباب النهوض. وقد أسهمت مؤسسة الخلافة في دعم نور الدين محمود وحركة المقاومة للغزو الصليبي دينياً، واقتصادياً، وسياسياً.. إلخ متوازياً ذلك الدعم مع الضخ الكبير لمعاني الإسلام والإيمان والإحسان في قطاعات جماهير الأمة في عاصمة الدولة العباسية وغيرها. وكان من أبرز قيادات الحركة الشعبية الروحية الإيمانية الشيخ عبد القادر الجيلاني، لقد كانت عوامل النهوض عديدة منها، روح جديدة في مؤسسة الخلافة والوزارة، وقيادة رشيدة في ساحات الوغى، وزعامة شعبية روحية مخلصة لدين الله أسهمت في تقوية المقاومة للصليبيين وأمدت الأمة بقدرات مادية ومعنوية للتصدي للغزاة، وتحقيق التوازن العسكري ثم التفوق عليهم وفق رؤية نهضوية متكاملة وضع خطوطها العريضة القادة السياسيون، والعسكريون والعلماء الربانيون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم المصادر والمراجع

1 . البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى 1419هـ 1998م.

2 . التعريفات للجرجاني، علي بن محمد الشريف، بيروت، مكتبة لبنان.

3 . تفسير القران العظيم . للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الدمشقي، دار الفكر، ودار القلم، بيروت، لبنان.

4 . الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد الدمشقي، نشر وتحقيق جعفر الحسين . مطبعة الترقي 1367 هـ/1948م.

5 . ذيل طبقة الحنابلة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب، صححه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952م.

6 . رجال الفكر والدعوة، لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق 1420 هـ/1999 م.

7 . روضات الجنان، للخوانساري محمد بن جعفر، تحقيق أسد الله إسماعيليان، طهران 1392 هـ.

8 . زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت 1402 هـ.

9 . السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني.

10. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. الطبعة الأولى 1356 هـ.

11. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1402 هـ/1982 م.

12. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الافاق الجديدة.

13. الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، الدكتور عبد الرّزاق الكيلاني.

14. الشيخ عبد القادر الجيلاني سعيد القحطاني، الطبعة الأولى 1418 هـ/1997م.

15. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر الطبعة الأولى 1411هـ 1991 م.

16. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان الطبعة الثانية 1992م.

17. الطريق إلى بيت المقدس، د. جمال عبد الهادي، د. وفاء محمد رفعت، دار التوزيع والنشر الإسلامية طبعة ثانية 1422 هـ/2001 م.

18. العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، بغداد، 1369. 1949م.

19. الغنية لطالبي الحق، عبد القادر الجيلاني، دار الألباب دمشق.

20. فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين.

21. قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر للتادفي، الطبعة الثالثة، القاهرة 1375. 1956 م.

22 . لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد الأقصى، د. مجاهد بن مجد الدين بن صلاح الدين، الطبعة الأولى 1414 هـ/1994 م.

23 . مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية.

24 . مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، حيدر اباد الدكن 1951 م.

25 . مسائل الإمام أحمد لابن هاني، تحقيق الشاويش.

26 . المنتظم لأبي الفرج عبد الرحمن علي بن محمد بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان.

27 . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف.

28 . نشأة القادرية، د. ماجد الكيلاني، رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في الجامعة الأمريكية بيروت لإتمام المطلوب للحصول على درجة أستاذ في الآداب.

29 . هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، د. ماجد عرسان، دار القلم، الإمارات العربية الطبعة الثالثة 1423 هـ 2002 م.

30 . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.

فهرس الكتاب

كتب صدرت للمؤلف:

1 . السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

2 . سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

3 . سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

4 . سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

5 . سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

6 . سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.

7 . الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

8 . فقه النصر والتمكين في القران الكريم.

9 . تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

10 . تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

11 . عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

12 . الوسطية في القران الكريم.

13 . الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

14 . معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

15 . عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

16 . خلافة عبد الله بن الزبير.

17 . عصر الدولة الزنكية.

18 . عماد الدين زنكي.

19 . نور الدين زنكي.

20 . دولة السلاجقة.

21 . الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

22 . الشيخ عبد القادر الجيلاني.

23 . الشيخ عمر المختار.

24 . عبد الملك بن مروان وبنوه.

25. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.
26. حقيقة الخلاف بين الصحابة.
27. وسطية القران في العقائد.
28. فتنة مقتل عثمان.
29. السلطان عبد الحميد الثاني.
30. دولة المرابطين.
31. دولة الموحدين.
32. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
33. الدولة الفاطمية.
34. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
35. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
36. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول (ﷺ)، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
37. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
38. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
39. المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
40. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
41. الشورى في الإسلام.
42. الإيمان بالله جل جلاله.
43. الإيمان باليوم الآخر.
44. الإيمان بالقدر.
45. الإيمان بالرسل والرسالات.
46. الإيمان بالملائكة.
47. الإيمان بالقران والكتب السماوية.
48. السلطان محمد الفاتح.
49. المعجزة الخالدة.

50 . الدولة الحديثة المسلمة، دعائمها ووظائفها.

51 . البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

52 . التداول على السلطة التنفيذية.

53 . الشورى فريضة إسلامية.

54 . الحريات من القران الكريم، حرية التفكير، وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.

55 . العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية.

56 . المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

57 . العدل في التصور الإسلامي.

58 .كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

59 . الأمير عبد القادر الجزائري.

60 .كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

61 . سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

62 .كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

63. أعلام التصوف السُني "ثمانية أجزاء".

64. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

* * *



د. علي محمد محمد الصلابي

مفكر ومؤرخ وفقيه

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ/ 1963م

- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام 1993م، وبالترتيب الأول.

- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1996م.

- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام 1999م.

- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم والفقه والتاريخ والفكر الإسلامي.

- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي عن ستين مؤلفًا أبرزها:

- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث
- سير الخلفاء الراشدين
- الدولة الحديثة المسلمة
- الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط
- فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح
- وسطية القرآن الكريم في العقائد.
- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي.
- تاريخ كفاح الشعب الجزائري
- العدالة والمصالحة الوطنية
- وآخر مؤلفاته "الإباضية. مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج".